



ملحق للتقرير الوارد عن المدعي

عبدالله حميم

## عَلَى بَنْ عَلَوَانْ

من يده .. قال له شيئاً ثم انفرجت شفتيه عن ابتسامة ملتبه .. امتدت يده الى جبهه ، اخرج نقوداً واعطاها له وبعد ان استقرنا من التأديل عرقلنا ان ابن علوان كان يحدله حول حساب قديم نسي ان يسدده .. لا ان هذا لا يمنعنا من التاكيد على ان ابن علوان كثيراً ما يتعصب من المستخدمين علاقات ودية ويسمع لهم بالجلوس معه والتحدث اليه ، والخوقتنا من قطعه مثل هذه الملاقات انكينا على صاحب المنهي بضرورة استبدال مستخدميه

في تمام السابعة مساء دخل الدعم على ابن علوان المنهي متسلقاً جرباته ، وكالمتأذى الجبه نحو الركن المقابل الذي اعتاد الجاؤس فيه : هناك حيث كان الآخر ينتظره بوجهه المطلوب وعيته الباسطة . خلخ معلقه المطري وجلس . حدق في وجه الآخر وتمت عدة كلمات لم تسمعها ولكن بعد استئنافها حركة شفتيه تأكّل لها انه كمر بيارته المتداة : - حا .. ما الاختبار .. اليس هناك جديد .. اقترب التأديل .. ثاب منه شايا استبطاه بإشارة

قال ذلك دون أن يكون الآخر قد قال شيئاً .. حتى  
يديه لم يحركهما بل كانت امساكه على الطاولة في شبه أهتمام،  
وعيناه كانتا مسمرتين على زجاج المقصى دون أن تفصحا  
عن أي تعبير .. ولكننا غير متذكرين مما إذا كان قد حرر  
قدميه تحت الطاولة أم لا حيث أن ظلام الركن الذي  
يجلس فيه يحول بيننا والرؤبة بوضوح كامل . أضاف  
بن علوان فاحشاً :

— كلا .. كلا .. هذه هي الحقيقة وليس هناك مجال  
للتخمين والجدال .. !  
رفع الآخر يده ورك رأسه .. ضحكاً سعياً . أخرج

الآخر من جببه ورقة وقلماً دون شيئاً  
— وهنا يجيء بن علوان ثانية إلى هنا عرفنا لآخر مرة إنها  
يتفاهمنا خلال الكتابة — أخذ ابن علوان الورقة .. قرأها  
ثم كتب شيئاً . كانت الساعة حينذاك تشير إلى السابعة  
والثالث — قرأها الآخر .. أشعل نفطاً واحتقها .

لم تتمكن من مرئته ما كتب في تلك الورقة وإن كان  
نعتقد أنه ذو سلة وثيقة بالمخاطر الذي يحاكم ضد الدولة  
والذي سيق وان تبيهنا له المؤسسة الكبرى للدولتين  
الكبرى الصديقة .

وبالرغم من أن ابن علوان كان يتحدث بصوت عالٍ  
فإن ذلك لم يكن أكثر من محاولة منه لتضليلنا مستهدفاً  
دفعنا بالإتجاه المعاكس الذي يسمى فيه خاصة وانت تكتأنا  
من طلويق مضمون تحركاته وربجتها في السجن كل الأشخاص  
الذين كانوا على صلة به .. ونحن على يقين من إننا إذا  
تمكننا من تنفيذ تعليمات المؤسسة الكبرى التي تنص على  
ضرورة اعتقال على بن علوان الآخر وارتفاع المعلومات منه  
فأننا سنتمكن من إنشال جميع الخطط التي يحيكها .

هنا لا بد أن تقدم اللاحظة التالية : أعدنا استجواباً  
على بن علوان الإبكم الأصم عن طريق الكتابة .. كتبنا له  
عدة أسئلة فأخذ القلم وظل يكتب أجاباته ولكننا بعد  
قراءة الإجابات لم نستطع أن نفهم الكثير من كلماته : « على  
بن علوان !! التي كان قد وضعها أمام لفته : « ما  
اسمك !! أسامي بيقي فقد كان مكتوباً بطريقة غير مفهومة  
.. حتى ان خبراء الخطوط الذين استمعنا لهم أكدوا أنهم  
غير دراستهم الطويلة لم يعر عليهم مثل ذلك الخط بل  
أنهم أشاروا إلى أن ما تبيه ليس خطًا وانه لا يمدو عن  
كونه رموزاً لا تعلق أيجاده محدداً .

ولا تزال تلك الإجابات في مختبراتنا قيد الدرس  
والتحقيق . وقد دفعتنا اهتمامتنا بهذه العلوب السى  
الاستثنائية بتجزئة المؤسسة الكبرى للدولة الصديقة الكبرى

بين وقت داير وقد استجاب لذلك برحماته صدر دون  
ادنى فقط أو الحاجة هنا .

في السابعة وخمس دقائق ابتسם ابن علوان انر حركة  
خفية ندت عن الآخر .. وهنا يجب أن نشير إلى أنها سى  
هذه الحقيقة — بالرغم من كل الإمكانيات التي هيأتها  
لنا .. لم تستطع ان تعرف عن هذا الآخر الذي يلازم ابن  
علوان أكثر من أنسه — هو ايضاً — على بن علوان . وقد  
بحثنا في سجلاتنا وارشيفتنا فلم نجد له صورة او ادنى  
إشارة عنه مما دفعتنا الى وضع ثلاثة من رجالات التعمرين  
في دائرة وشكthem — في كل مرة يلاحقونه فيها — كانوا يعتقدونه  
بطريقة غير متوقعة . الا ان ذلك لم يكن ليتحول بيننا وبين  
ال الوصول إليه ، فقد افتقدنا ذات مرة واجربنا معه  
استجواباً اكتشفنا من خلاله انه لا يسمع ولا يتكلّم  
فاضطررنا إلى اخلاقه سبيلاً ، مع ذلك فلا بد لنا من التأكيد  
على ان هذا الإبكم الأصم الذي يدعوه نفسه على بن علوان  
لا يهل خطورة عن ابن علوان الذي تعرفونه من خلال  
النقارير التي سبق وان عثينا بها اليكم بشانه ، وخطورته  
تكمّن في الطريقة الغريبة التي يتفاهم بها وهي طريقة جديدة  
لم تستطع ان تستقر لها حتى هذه الحقيقة . وحوال  
هذه العلاقة الرودوجة كتبنا الى دائرة الجنسية مستغرين  
منها عن المعلومات الدوارة في سجلاتهم حول هذين  
العلوبين ، وقد جاءتنا الرد الثاني :

السيد رئيس دائرة الباحث العامة المحترم :

ردًا على خطابكم رقم ٢٤٤٢ تاريخ ٢٢ تشرين الثاني  
لسنة ١٩٦٧ بخصوص ما هو وارد بسجلاتنا من المدعى  
علي بن علوان ، فأنا أفيدكم علماً بانتهائكم  
والتدقيق لم نجد لأي منها ذكرًا في سجلاتنا .. الا اننا  
نشرت الى ان هناك سجلات قديمة يعود تاريخها لعامي  
٤٧ - ٤٨ وهي سجلات لقينا منك امراً بالإنفصال لما كانت  
تحمله من أسرار ومعلومات خطيرة ، ولا ندري اذا كان  
لهذين العلوب ذكر في تلك الملفات .. او لا .. اساً  
من كونهما يحملان موبيات صادرة من دائرتنا حسب  
الأرقام والتاريخ التي ذكرتموها في تقريركم فنحن نؤكد  
ان لا أساس لذلك من الصحة ، وننذركم بزيادة من النقض  
والتدقيق والله ولني التوفيق ..

مدير المهرات والجنسية

١٩٧ . - ايلول لسنة

شحال على بن علوان في السابعة وعشرين دقائق :  
— اه .. لند عرفت الان كل ما يحلك من الأعمدة ..

المنشرة داخل تلك البلدان التي كان يسيطر عليها « العالم الحر » وقد قامت السلطات البريطانية باعتقاله هو وعدد آخر من رفقاء .. ويرجع التقرير الذي وصلناه ان المستر علوان قد لقى حتفه الناء محاولة السلطة البريطانية انتزاع المعلومات منه .. ولكننا شغلنا لغترة طولية عن متابعة ملفات المستر علوان نتيجة للتغيرات الكبيرة التي حدثت في اماكن كثيرة من دول العالم الثالث ، كانت حتى ذلك الوقت خاسمة تحت بسطرة « العالم الحر » .

هذا هو نص التقرير الذي وصل اليانا .. ولكننا بعد التدقيق من الصورة المرفقة به اكتشفنا انها تشبه الشخصين معاً . لذا نطلب منكم السماح لنا بالقاء القبض على هذين العليين نظراً لخطورتهم المنشاهدة ودمتم . ● ملحق « ١ » غير مرفق

نفيكم بان المدعويين على بن علوان قدلياً حتفهما اثناء محاولة انتزاع المعلومات منها .. و قد جاء موتهما مفاجئاً دون ان تتمكن من الحصول على اية معلومات . ● ملحق « ب » رقم ٤٠

نعيد الى المذاكرة خطاب رقم ٢٣٨ « المورخ ٢٢ تشرين الثاني وخطاب رقم ٣٣٦ « ١٩٧٣ » ونسجل باسف بالعلن المدعويين على بن علوان عاداً لظهوره من جديد - رقم ماكينا المسقى من موتهما - الا اننا توكل ان ظهورهما في مثل هذه المرحلة يشكل خطورة بالغة على محيطنا .. ننتظر تعليماتكم على جناح السرعة . وقد جاء ظهورهما في يوم الاحد ١٢ نيسان ١٩٧٥ .  
- السعودية -

واستطعنا ان نحصل منها على التقرير التالي : السيد رئيس دائرة المباحث العامة المحترم .

رداً على خطابكم رقم ٢٢٨ تاریخ ٢٢ تشرين الاول ١٩٧٢ وخطابكم الرقم ٣٣٦ تاریخ ٢٢ تشرين اول ١٩٧٣ يبيان طلب تزويدكم بالمعلومات التي لدينا من المدعويين مستر علوان .. ويرجوا أن تشير الى ان معلوماتنا الارشيفية تقول ان شيخاً ظهر بهذا الاسم في اليمن النساء الاخلال الحبشي .. وكان ظهوره بالتحديد في فضاء حجة .. وقد توقفت الاخبار عن تزويده بأنه كان يدرس ابناءها اللغة واللغة الى جانب الجلسات التي كان يعقدها في المسجد عقب كل صلاة عشاء وقد لم يتبع تلك الجلسات دوراً كبيراً في طرد الاجانب من اليمن .. ويرجع معلوماتنا انه افتسل خلال تلك الاحاديث وقد نصب اليه مبنون لمهما قاما لا يزال يعرف باسمه حتى اليوم .

لم يعاد الى الظهور في احدى قرى التربية بمصر حيث لم يلب دوراً خطيراً انجمدت عنه كل تلك الاحداث الدامية التي اجتاحت مصر فيما بعد .. ولكن السلطات لم يتمكن من القاء القبض عليه .. ثم اقتله متمناً اخباره . الا ان المستر علوان عاد الى الظهور قبل نحو ستة وعشرين عاماً في العاصمة البريطانية حيث شهدت احدى جامعاتها شباباً عربياً ثائراً تشبه صورته الصورة التي ارفقتها لها في تقريركم وقد قام هذا الشاب مع عدد من الشباب العرب وشبان العالم الثالث بعدة نشاطات محظورة حيث شكلوا جمعية سرية استندت على كواذرها

# رهاورة هونت السيد فلاوي

- اتفوا الله والعنوا الشيطان ، الموت يطلق فوق رؤوسنا ،  
ويمكن ان يصيّبنا في اي وقت . الاعمار بيد الله  
فاستغفروا ربكم .

قال عباس الذي طرد من الثانوية بالمدينة وافتفل  
هناك في مهن مختلفة قبل ان يعود الى البلد لعمل اجيرا  
بالارض صحبة ابيه :

- انا اعرف الجرائد جدا ، يمكنني ان تدفع عشرة  
درارهم ليشرعوا لك اي خبر ت يريد . هذه مداعبة  
لقيقة من احدهم . لااصدفوا شيئا ، خصوصا ونعن  
في اوائل ابريل .

ثم اسحب .

لم يفهم الكثيرون العلاقة بين عدم التصديق  
شهر ابريل .

قال ابراهيم سنا :

- لو كانت في عباس غالدة ما كان ليطرد من الدراسة .  
انه يخرب .

— — — X — —

بعد مضي ثلاثة أيام . لم يكن حدث الناس  
يدور الا حول السيد فلاطي . قالوا في مكتب رئيس  
الدرك الذي لا يشق له شبار في حل رموز الكلمات  
المتقاطعة ولعب الورق :

- عاملنا بوفاة السيد فلاطي معلم ابناها . طفت المدينة  
طولا وعرضها باختين عن جسنه قصد دفنها بالبلد  
حسب وصيته . سألنا اخته التي لاتعلم له اقارب  
سواءها بالمدينة . استفسرنا في المشافي ومرافق  
الشرطة والوزارة المعنية ، لكننا رجمنا خالبين .

عندما غادر الطالب سيارة النقل التي توافت  
على جانب الطريق المترقب في الخلاء ، كان لم يزل يحتفظ  
بالجريدة التي اشتراها من المدينة قبل سفره . نظر  
إلى الحقول الخضراء والدواب الجائمة في قبط الشفيرة .  
شم رائحة الاقحوان واستطاع السكون فقال .

**ماخل العودة الى البلد .**

ولما حل حقبته وارسل خطواته فوق التربة  
الحمراء ، لم يزال يحتفظ بجريدةه متبعا اياها  
باليد التي تحمل الحقيبة ، بينما كانت سيارة النقل  
تتحر في منتصف عقبة مرحلة دخانا اسود كثيفا . لم  
يطلب قسمي الدراسة الوحشيين الذين درس بهما  
مرحظه الابتدائية قبل ان يتقلل الى المدينة فاجتاز به  
الذكرى . حيث خطاء وقد نادى بحمل الحقيبة في قبط  
الشفيرة .

**قال الناس :**

- لايمكن ان يحدث ذلك ؟

**بسط الطالب الجريدة امامهم وقال :**

- اليست هذه صورته ؟

تجاذبوا الجريدة فيما بينهم وسلطوا حوالها  
مشرقيين ياعاقفهم متدافعين يعنكيمهم قالوا :

- الصورة صورته ، فماذا كتب تحتها ؟

**قرأ الطالب :**

- بلغنا بزيد الاسى والاسف ؛ نيا وفاة السيد فلاطي

اسكته الله فسیح جنانه .

**قال ابراهيم سنا :**

قال رئيس المرك:

- في المرة القادمة يجب ان تنتخبوا واحدا منكم ليتولى  
عنةكم في الانصال بالسلطة المحلية . وان اقبل  
مستقبلأ حضوركم الى مكتبي بهذه الطريقة المموجة .

### قال رئيس المرك :

- الم انتبهكم في المرة السابقة الى وجوب انتخاب  
احدكم يتولى عنكم في الاتصال بنا . انت قسم  
جهله . كيف استطيع اذن حل رموز الكلمات  
المقاطعة .

بعد انتهاء العطلة عاد الطالب الى المدينة ، وذهب  
الתלמיד الى المدرسة مستأطبين محافظهم الجاذبة . كان  
قسمها الدراسة موحدين . لكن التلاميذ اكروا لاليتهم  
بانهم سمعوا صوت السيد فلادي يتردد داخل قاعتي  
الدرس . لم يفهموا مضمون احواله ، لكنهم تبینوا  
براءات صوته .

### قال النساء :

- ظللنا طول النهار نسمع صوت السيد فلادي .  
كان يخجل البنا الله قريب منه . لكننا كنا حين تفتح  
النوافذ او الابواب لاتثنين احدا .  
و مع مضي الايام كان الناس البلد يسمعون صوت  
السيد فلادي يوميا . لا يزدرون مصدره ، لكنهم  
يتبنونه جيدا .

### شهادة اهل البلد :

لم نر من السيد فلادي الا الخير منذ حضوره من  
المدينة لتعليم ابنانا . لم يقض بيتنا سوى أسبوع حتى  
ذاق فيها فاجهناه وشعرنا كأنه احد ابناء البلد الذين  
ولدوا هنا . قال لنا يوما . اذا مت فادفوني بالبلد .

### شهادة القديم :

التقارير التي كتبتها عنه كثيرة ، لذلك يصعب  
علي ان اخسر واربي فيه . ذيل تقرير رئيس المرك :  
نرجو على وجه الاستجبار ارسال خبير في  
الاصوات ، لمصادرة صوت المدعو فلادي الذي يتردد  
يوميا في قسمي السفراء والاسواق ، الساحرات  
العامة .

### قال الطالب الذي عاز لنزوة من المدينة :

- لقد استقررت من ادارة الجريدة التي نشرت الخبر  
فرودوني بعنوان الشخص الذي طلب نشر النبي .  
يدا ارتياح على وجوه الساميون ووشت ملامحهم  
بالشوق فجحظت عيونهم واستطاعت اذانهم . بينما  
اردد الطالب :

- ولا ذهبت للبحث عنه . اكتشف انه ترك للجريدة  
عنوانا لا وجود له . اسقط في يد الناس فضربوا كفا  
سکف .

### قال عباس :

- لم اقل لكم بأنها مداعبة تقيلة .  
تم انسحب .

نظر اليه اكبرهم سننا . لكنه لم يفه بكلمة .

### قال الطالب :

- من رايتم السيد فلادي لآخر مرة ؟

### قال النساء :

- قبل بداية العطلة المدرسية يومين ، فوجئنا بمودة  
ابننا من المدرسة قبل وقت نهاية الدروس العتاد .  
اخروننا بان السيد فلادي اوقف درسه واقر لهم  
بعد المودة الى المدرسة الا بعد انتهاء العطلة . لم  
نادر البلد صحيفه وجلجن يعتنك ان سيارة يبعده .  
لعلها سدقة .

### قال تلميذ :

- ليس مدينته . لقد كتبت الوحيدة الذي مر  
بحياتهم وهم يتحدون . سمعتهم يقولان السيد  
فلادي . اذا لم ترأفنا ستنزع رجليك .

### غضب اكبرهم سننا وقال :

- اسرغوا هنا الاطفال . فالمأساة جدا كل الجد .  
وحين اختلى التلميذ باصدقائه قال :

النزل

العن

البيه

٣٥٦٦٥٧

٤٤٩٦١٨٦

٩١٦٦٢٣٢

محمد العجمي

الكتويه مطب ٤٤٢  
٥٢٨٥٤ ٥٢٥  
٥٢٨٥٤ ٥٢٥

# وتثبتت أجياده

## سنابل

إلى د. عبد الله العتيبي ..  
والزمان العربي" !

محمد مسعود العجمي

وحده، متربعاً على عرش مملكة (عقبكاس) ، يدير شؤونه ويفكر في نفسه  
و... و... و... وشئون رعيته  
وجه زوجته المرعوب، واندفعها نحوه، يرغمانه على النهوض واحتضانها  
تصرخ باكية:

— لقد أربعني صهيل الجياد وأقض مضجعه .  
تبتلعها نوبة بكاء ، يختضنها ، يهدئ من روتها ، ويقسم

• • •

ਗਿਆ ਹੈ ਕਿ ਵਾਸਤੇ ਬਿਲਕੁਲ ਆਪਣੇ ਜ਼ਖ਼ ਵਿੱਚ ਰਿਹਾ ਹੈ, ਅਤੇ ਜਦੋਂ ਪੁਰਾਣੀ ਗਜ਼ੀ ਸਾਡੀ ਵਿੱਚ ਉਸ ਵਿੱਚ ਦੱਸਿਆ ਗਿਆ ਹੈ।

“ਭਾਵਾ ਵਿੱਚ ਰਿਹਾ ਹੈ ਕਿ ਜੇ ਬਿਲਕੁਲ ਸਾਡੀ ਹੋ ਜਾਂਦੀ ਹੈ, ਤਾਂ ਉਸ ਵਿੱਚ ਦੱਸਿਆ ਗਿਆ ਹੈ।

ਕਿਸੇ ਜਾਂ ਕਿ ਹੋਰ ਗਜ਼ੀ ਵਿੱਚ ਵੀ ਜੇ ਹੋਰ ਗਜ਼ੀ ਹੋ ਜਾਂਦੀ ਹੈ, ਤਾਂ ਉਸ ਵਿੱਚ ਦੱਸਿਆ ਗਿਆ ਹੈ।

ਉਸ ਵਿੱਚ ਦੱਸਿਆ ਗਿਆ ਹੈ ਕਿ ਜੇ ਕਿਸੇ ਦੋ ਵਿੱਚੋਂ ਵੀ ਅੱਖਾਂ ਵਿੱਚ ਮੁੱਹ ਫੇਰਾਂ ਹੋ ਜਾਂਦੀ ਹੈ, ਤਾਂ ਉਸ ਵਿੱਚ ਦੱਸਿਆ ਗਿਆ ਹੈ।

ਉਸ ਵਿੱਚ ਦੱਸਿਆ ਗਿਆ ਹੈ ਕਿ ਜੇ ਕਿਸੇ ਦੋ ਵਿੱਚੋਂ ਵੀ ਪੁਛੁਕਾ ਹੋ ਜਾਂਦੀ ਹੈ, ਤਾਂ ਉਸ ਵਿੱਚ ਦੱਸਿਆ ਗਿਆ ਹੈ।

\* \* \*

ਉਸ ਵਿੱਚ ਦੱਸਿਆ ਗਿਆ ਹੈ ਕਿ ਜੇ ਕਿਸੇ ਦੋ ਵਿੱਚੋਂ ਵੀ ਪੁਛੁਕਾ ਹੋ ਜਾਂਦੀ ਹੈ, ਤਾਂ ਉਸ ਵਿੱਚ ਦੱਸਿਆ ਗਿਆ ਹੈ।

ਉਸ ਵਿੱਚ ਦੱਸਿਆ ਗਿਆ ਹੈ ਕਿ ਜੇ ਕਿਸੇ ਦੋ ਵਿੱਚੋਂ ਵੀ ਪੁਛੁਕਾ ਹੋ ਜਾਂਦੀ ਹੈ, ਤਾਂ ਉਸ ਵਿੱਚ ਦੱਸਿਆ ਗਿਆ ਹੈ।

\* \* \*

ਉਸ ਵਿੱਚ ਦੱਸਿਆ ਗਿਆ ਹੈ ਕਿ ਜੇ ਕਿਸੇ ਦੋ ਵਿੱਚੋਂ ਵੀ ਪੁਛੁਕਾ ਹੋ ਜਾਂਦੀ ਹੈ, ਤਾਂ ਉਸ ਵਿੱਚ ਦੱਸਿਆ ਗਿਆ ਹੈ।

ਉਸ ਵਿੱਚ ਦੱਸਿਆ ਗਿਆ ਹੈ ਕਿ ਜੇ ਕਿਸੇ ਦੋ ਵਿੱਚੋਂ ਵੀ ਪੁਛੁਕਾ ਹੋ ਜਾਂਦੀ ਹੈ, ਤਾਂ ਉਸ ਵਿੱਚ ਦੱਸਿਆ ਗਿਆ ਹੈ।

ਉਸ ਵਿੱਚ ਦੱਸਿਆ ਗਿਆ ਹੈ ਕਿ ਜੇ ਕਿਸੇ ਦੋ ਵਿੱਚੋਂ ਵੀ ਪੁਛੁਕਾ ਹੋ ਜਾਂਦੀ ਹੈ, ਤਾਂ ਉਸ ਵਿੱਚ ਦੱਸਿਆ ਗਿਆ ਹੈ।

ਉਸ ਵਿੱਚ ਦੱਸਿਆ ਗਿਆ ਹੈ ਕਿ ਜੇ ਕਿਸੇ ਦੋ ਵਿੱਚੋਂ ਵੀ ਪੁਛੁਕਾ ਹੋ ਜਾਂਦੀ ਹੈ, ਤਾਂ ਉਸ ਵਿੱਚ ਦੱਸਿਆ ਗਿਆ ਹੈ।

الحادي عشر على كل لسان وكثير السؤال .

— مستقبل !

— بل ستنتزع حناجرها .

— عقار جديد يرخي الحبال الصوتية فيخرج الصهيل فجأة

— بل سيمعن عنها الطعام وتموت .

\* \* \*

وحدثك تنظر إلى القاع ، تفترس آلام الخوف ، والرعب الآتي والرعد الذي يجلجل بعيداً ، يرحل دوفما بارقة أمل في الاقتراب .  
ويرعبك أيضاً الجدب المتنامي عبر أطراف الصحراء والواعد أيضاً بالتناسل .

ما زلت وحيداً ، يسحقك اليأس والأمل القصيم ، توغل في ذاتك ويلفك الظلام ومع ذلك تستطيع الرؤية .

و يأتيك — عبر الصمت الممتد — أصوات وهممات وصهيل جياد ..

تنهض وبسرعة تبطح أرضاً (في الظلام لا تقف عندما تسمع حركات مريبة ، اتخذ طولك أرضاً . قالها أبوك في مرة سابقة ) ، عيناك رغم صغرهما أفق ، أنفاسك صمت ، ودهر لحظتك .

يرتفع صهيل حزين جياد قادمة ، أصوات خشنة لرجال غلاظ ، قساوة عيناك تتعدان على الظلام ولم تعد الرؤية مستحيلة .

تقرب الجياد من مرمى بصرك ، خلفها الرجال ، لم تكن مسرحة ، عرفت أنوفها في اللجام ، يرفع أحدهم يده ، توقف الجياد ويتوقف الرجال ..  
تتمعن وتعرف الجياد .. الجياد الأصلية التي حشرت قبل أيام ..

يرتفع صوت الرجل بقسوة :

— هنا

يصمت الرجال ، تصهل الجياد ويخرسها اللجام المشدود ، يرتفع صوته مرة أخرى :

၁၃။ ၁၂၈၆၃ ၂၀၁၇

وَمِنْهُمْ مَنْ يَرْجُو رُشْدًا فَلَا يَجِدُهُ وَيَقُولُ إِنَّمَا  
الْأَعْيُونَ لِيَرَوُا مَا بِالْأَرْضِ وَمَا فِي السَّمَاوَاتِ  
وَمَا يَرَوْا إِلَّا بِالْأَعْيُونِ وَمَا لَا يَرَوْا  
إِلَّا بِالْأَذْنِينِ وَمَا لَا يَعْلَمُونَ إِلَّا  
بِالْأَفْوَاهِ

— ۲۷ —

۱۸۷۰ء میں پاکستان کے پہلے اعلیٰ سیاست دار اور اولین وزیر اعظم احمد نسیر الدین رضا خان تھے۔

سیمین

— የዚህ በቻ ስለሚያስተካክል ነው እና ይህንን የሚያስተካክል የሚከተሉት ደንብ ነው:

କାନ୍ତିର ପାଦରେ ପାଦରେ ପାଦରେ ପାଦରେ ପାଦରେ

• تجربة ملائكة العرش، ملائكة العرش، ملائكة العرش، ملائكة العرش.

କାହିଁ କାହିଁ କାହିଁ କାହିଁ କାହିଁ କାହିଁ କାହିଁ କାହିଁ କାହିଁ କାହିଁ

— ቤት ከዚያ የሆነውን ስርዓት  
አማካይ መጠና ተቋም :

- an -

جیلیکیں کیا

— ମୁହିଁ କାହିଁ କାହିଁ କାହିଁ

અને કરું (કરીએ) પણ કરું (કરીએ) હોય

وَكَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى مَا يَرِيدُ

— سیمین

في مكانك تنبت عشبة بريّة تعشق برائحة الندى وتحمّل بين الحمرة الضاربة  
والبياض الناصع .. والإصالة .

وفي قعر المسحور تنبت سُنابيل طولية ، ترتفع بشموخ ترفض الانحناء وتقاوم  
الريح .

محمد مسعود العجمي - لوس انجلوس

مارس ١٩٨٤

فِي مَكَانِكَ تَنْبَتُ عَشَبَةً بَرِّيَّةً تَعْشَقُ بِرَائِحَةِ النَّدْى وَتَحْمَلُ بَيْنَ الْحَمَرَةِ الْضَّارِبَةِ  
وَالْبَيَاضِ النَّاصِعِ .. وَالْإِصَالَةِ .  
وَفِي قَعْدَةِ الْمَسْحُورِ تَنْبَتُ سُنَابِيلٌ طُولِيَّةٌ ، تَرْتَفَعُ بِشَمْوَخٍ تَرْفَضُ الْأَنْهَانَهُ وَتَقاوِيمُ  
الرِّيحِ .

وَمَسْعُودٌ عَجَمِيُّ لَوسِ إِنْجِلُوسٌ  
وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَعْلَمُ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ

[فهرس العدد](#)

[فهرس الدوريات](#)

[سيّدنا الخليفة — قصة: عبد الستار ناصر](#)

حرارة أجسادنا تفوح من المسامات. وفوق أجسادنا —ونحن في الشتاء— يمكن أن تسلق شيئاً من البطاطس والبيض. فقد نصّت قرارات الخليفة على أن نعرق في الشتاء ونلبس الثياب القطنية في الصيف.

والحالاً بما ورد: وجب أن تكون بيوتنا مدفأة في تموز وآب ومبردة في شباط، بعكسه (يحاسب المخالف بالجلد أسبوعياً لوقت يصل حد ثلاثة السنوات، أو بالسجن الانفرادي من ستة أشهر إلى أربع سنوات أو بغرامة مالية تدفع بالتقسيط، وفقاً لطبيعة التعمد والرفض، أو طبقاً للسهو و فعل العادة).

ذلك نص القرار السنوي العاشر، الذي قرأته المذيعة التلفزيونية وهي تبكي بعينين قهوائيتين جميلتين كأنها تعذّر للمشاهدين عما سببته من حزن قاهر.

\*\*\*

داخل مدینتنا المزحومة بالعهر والبكتيريا، وفي شوارعنا العتيقة التي تت弟兄 منها رواح السمك البائت والأجسام المعدّبة في السجون، أغلقوا علينا كل شيء. ولم تكن غريبة علينا —نحن أبناء مدينة السعادة— تلك القرارات الدامغة الشاذة، فقد اعتدنا منذ السلطان عبد الحميد، على أن نبوس أولياء نعمتنا ونحتني ظهورنا ونهاض ملء حناجرنا بحياة سيّدنا.

وقد تعرض في هذه السنة آخر خلفائنا، وقد كنا نلقّبه —نحن المتمردين السريين أو أطفال محلّتنا الظرفاء— بخليفة العصر التلفزيوني. ذلك أن الخلافة في الأرض لم يعد لها أي بأس بعدما أصبحت الدنيا متخرمة بالسينما والثورات ومليئة بالطائرات وبجين فوندا.

\*\*\*

غير أن كل القرارات التي نفذناها وكل الرغبات التي مشت وتسربت على أنفاسنا، لم تكن أبداً كالتي سمعناها الليلة. فقد قمنا في شهور ولت برغبة مولانا في أن يقص شعورنا الطويلة وضحكنا معه لما شق بنطوناتنا في الشوارع العامة، بل مددنا إليه أيدينا وهو يصبح أخاذ بنا في الجامعة والأسواق تحت نصب الحرية، وبلعنا ريقنا وهو يسحب منا ضرائب العيش في الوطن —أربعون فلساً على الثمن الرئيسي لدخول السينما والبارات وركوب الزوارق النهرية. سبعة أيام في السجن للتدخين في رمضان أو الغمز لفتاة جميلة. نصف دينار للفرح المجاني مع إيقاف العلاوات والأعراس العلنية — وقد كشنا عن أسناننا وهو يحجر حرياتنا في الحب والسفر والشرب عند القبور.

كل هذا صفقنا له كي نتخلص. لكن خرابنا الروحي، الذي نما وتجذر فينا، لم يفسح في نفوسنا بقية احتمال لقرار معجز كالذي دمغنا به الليلة. كيف لنا يا ترى أن نرمي أنفسنا على أن نعرق في زمهرير الشتاء وأن نرتجف ببرداً ونحن في تموز؟ كيف ترانا نلبس الصوف وقد دمرتنا الشمس في الصيف؟ بل كيف نشغل مبردة في عز الشتاء ونحن في غرف من سبعة أمتار فقط؟

\*\*\*

لأن هذا يشبه المستحيل، فقد دخل السجون كل القراء، وراح يدفع الغرامات المالية كل الأغنياء والوارثين والموظفين، وكل النساء طبعاً، اللائي رهن بيع أجسادهن بغية البقاء خارج السجن.

\*\*\*

على جدارين محببين، ملطخين باللون الأسود والرماني، حفرنا (لقد منعوا كل شيء..) نعوي في الشوارع والحانات، نسأل عن سر هذا القتل؟ حيث متنا من الصمت —نحن المتظاهرين الشرسين أحفاد الموت الكبير الذي لم يوليوس قيصر ومسلم بن عقيل — وقد انغرست عبارتنا في العروق الدمية النافرة قبل أن نمدنا إلى آخر الجدارين الملتصقين بزاوية قطراها تسعون درجة.

مات هنا أرق أحبابنا، ولم يعرف الجيل الذي جاء بعدها ما كان نبتغيه بذيل العبارة، فراح المفكرون والرسامون والشعراء يجتهدون في كشف سرها، بل أن جائزة جد مغربية أفردوها لكل من يعرف البقية —محصوبة بأدلة ثبوتية— حيث أن الجبل الذي جاء برفقة كلبرت وتوم جونز وآلات الجاز كان ذكياً وعاطفياً حد القهر وهاوياً ممتازاً لتراثه الفولكلوري، بكل ما فيه من جلد ودماء وعنف. ولم يع المفسرون أن العبارة —هكذا— ليست بحاجة إلى تنمية، وأن ثمة ثائراً مخولاً يسمونه عبد الستار ناصر كان قد خطها ثم فرغها من الجص والإسمنت. ولما بات من الصعب ردمها نال جزاء فعلته ما يناله — عادة— كل المساكين المجهولين عبر كل تواريخ العالم.

\*\*\*

"نحن أبناء مدينة ٣٢ وهي الزعماء وشارع الرومان ومشتل وبستان شناوة: نلتقطن خليفتنا المعظم تحصين أمهاتنا وشقيقاتنا ضد الزنا، وإعفاءهن من دفع الجزية، كما نلتقطن رحمة مولانا أن يكف رجاله عن جلدنا عليناً أمام حبيباتنا وزوجاتنا، وننافق على فعل هذا سراً لنحافظ على كرامتنا بينهن، أدام الله عمر الخليفة ونرجو أن يحفظه من كل مكره."

\*\*\*

بعد أن رفض الخليفة هذا النداء، تحولت مدینتنا إلى ماحور جيد يؤمه السياح الجائعون إلى النساء الشرقيات المدهونات بالخرافة والسمرة، وقد علقت النساء أجورهن على أبواب البيوت:

بدرية بدینارين.

نعمية بنصف دینار.

بينما تجد البغایا اللواتی مارسن العهر سراً أو علناً إبان عصور النکبات والخیر والبلاء، قد نزلت أثمانهن إلى درهمين أو ثلاثة دراهم. والبعض منهن مجاناً، على أن تدفع عنهن ضريبة أسبوع واحد، وأفضل ما شئت لشهرین.

\*\*\*

لم يستطع أحد منا رفض شيء.

الحزن ممنوع جداً بهامش الخليفة الرقم ١٠٥ بـ الملحق بقرار الحجاج بن يوسف، الذي ينص فيه على: اضحكوا كثيراً لنباهي بكم الأمم.

بقينا محرومين من الحزن بغية الحفاظ على مظهرنا بين السياح، منعوا البكاء والنحيب. كما منعوا تشبيع الموتى ورثاء المحبين وغناء فيروز. كما منعوا أكل الثوم والبصل والزعتر كي تكف العيون الضعيفة عن صب الدموع.

وأسّرنا الذل قبل أن نحقق – أو نعتاد – هذه الشروط الثقيلة.

: الآن

يمكن أن ترى الوجوه تکشر عن أسنان صفراء، لكنها لا تضحك. تحس الحزن عميقاً في الروح، دون أن يكتئب الوجه منا. وكذا، يمكن أن تهجننا نبكي دون دموع. فقد اعتدنا مرغمين على حياة جديدة تألفنا معها وانحشرنا فيها مثل الخراف (حياة سلفية ضمن حياة عصرية) كل ما فيها ممنوع بأمر الخليفة.

\*\*\*

كنا نبحث عن موت سهل.. وكان هذا حلماً نكرّزه كالفستق.

\*\*\*

ترى ماذا حلّ بهتلر ورفيقه السري الأول؟..

أي عرق ينبض في أنهار مدینتنا؟..

كيف نكتشف زرات الدم في أجساد الميتين أو الماشين في الشوارع العامة كي نعرف هذا الرفيق السري؟

أهو الآن في مدینتنا؟

فقد مشطوا البحار والأنهار العميقة والمحطيات، ومشطوا الجبال والأودية والبقع الخضراء المنثورة هنا وهناك. كما فتشوا الصحراء والمدن المنسية والمدن السرية، وعاينوا الحدود الرسمية وغير المنظورة، كما فتشوا بيت أبي وأمي – كي أكون بريئة– وبيت أخي المهاجر في النمسا وبيت صديقي الذي يأكل المكرونة في نابولي، بل فتشوا كل البقع المهرية من فلسطين وفيتنام وشمال العراق، ولم يجدوا أبداً دليلاً يثبت أن رفيق سيد الحرب الأول موجود ثمة في البقع المذكورة أعلاه.

إذن، أليس من الممكن مثل مئات العجذات القدريّة، أن يكون هذا الرفيق المخبوء أباً لخليفتنا الجديد –مثلاً– أو أن يكون خليفتنا نفسه بعد أن تعلم العربية بسبعة أيام دون معلم؟ أن يكون أحد مستشاريه المقربين؟ أن يكون كابوسه الأبدي الذي يملّى عليه كل أساليبه الخربة؟

إذا لم يكن مثل هذا ممكناً، كيف ترانا نحمل في لحومنا هذه الحروق والعلامات الصليبية المعقوفة؟ وقدرأيت بنفسي – وما كنت حالاً ولا واهماً وما كنت كاذباً ولا جاسوساً – شارة "حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني" النازية معلقة فوق صدر خليفتنا من جهة القلب، وهو يجوب الشوارع في جولته التفتيسية اليومية المعتادة بسيارته المرقفة "واحد"؟..؟

\*\*\*

يمعن السفر إلى كل الدول، ويمنع التجوال في المدن الأوروبيّة والعربيّة.

لذلك يلتقط حول مدینتنا ما يشبه الطوق البرسيمي، مما خلف أسيجة غرزتها الشرطة، كما بنو ثكنات وسرادق للجنود كي يمنعوا خروجنا إلى دول أخرى وأحاطونا ببيوت طينية حشوها بالبنادق والرشاشات، كما زعوا النساء اللائي يلغظهن الخليفة كي يسهمن في ترفية الجنود القابعين – دائمًا – عند حدود المدينة.

ارتفعت هذه اليافطة سراً باللون الأحمر الغامق :يا عشاق القرن العشرين اتحدوا .

قتلوا بعدها مائة شاب مثقف ، وما أن تكررت مرتين حتى أصبحت لدينا شرطة ليلية خاصة تحضر الوجوه وتسال ثم تسجن على هواها وتعفو ، على هواها أيضاً .

على أثرها غصت نفوس القراء المحبسين في البيوت –إما خوفاً من الضرائب أو رداً على تجنيد الإجباري أو هرباً من عصي الشرطة ومقصاتها وعيونها المشوهة بالجوع –وغدا من الصعب أن يقنعوا بالموت هكذا ، ولا سيما أن بضعة قرارات جد رهيبة راحت تتضاعد في أجواء مجلس الخلافة .

ومثل ريح نقي ، بدأ العواء البشري ، معقماً بضعة أمتار من المدينة ، هائجاً على تلك القرارات التي تجمعت شهراً بعد آخر ، والتي ينص بعضها على : "عدم الكتابة على جدران التواليت".

ولما كان من غير الممكن لرجال الخليفة السريين أن يعرفوا من يكتب تلك الشعارات الواخزة ، فقد أضاف الخليفة هاماً إلى هامش أسبق يقضي بخلع أبواب التواليت من كافة أرجاء العاصمة . وقد أبقى على أبواب تواليت النساء بعد أن تأكد – بنفسه– أن جدرانهن نظيفة وخالية إلا من أوراق الكيويتiks والكلينكس .

لكن خليفتنا فوجئ ليلة شنق المواطن عبد الستار ناصر بعبارات حفرت حفراً على جدران تواليت النساء.. ذلك أن العديد من الرجال الجميلين –الواuden بالثورة من أضيق الطرق– لم يلتفتوا للعبارات السوداء وراحوا إلى تواليت مدارس البنات ومناطق نفوذ الجنس الناعم ، كي يكتبوا على جدرانهن كل ما يلح على الروح من أوجاع وصراخات .

\*\*\*

عند أبواب مجلس الخليفة ، لا أدرى كيف ، ومن أين ، أو لماذا يحتفظون بتماثيلين من الشمع . لنوسكيه رئيس القصابين الهاتلريين عضو الرايشتاغ بطل أسبوع الدماء في برلين ، وآخر للمركيز دي ساد عميد الشاذين جنسياً وقائد حملة الخراب الروحي التي أحاطت لندن وشعوب أوروبا الغربية؟

لا أدرى كيف جيء بأصل هذين الوجهين ومن دل الخليفة عليهما ، وكيف انسحبت نفوس أعضاء المجلس إلى أشرس اثنين على خارطة الإنسان الكونية؟ بل كيف توقف الاختيار عند هذين فحسب ، مع أنهما ماتا منذ أزمنة لم يعد لها أي هاجس في الذاكرة؟

إن أي جواب أعدّه لنفسي أضحك منه ، وأي جواب أسمعه من أيما صديق ذكي أضحك منه ، وكلما قرأت كتاباً عن الحرب والشذوذ أو مهما أسهب ولIAM شيرلو وكولن ويلسن في ذكر وقائع مناسبة ، أرى نفسي أضحك ، إذ أن بلادي –وأنا

أبكى أوجاعها—أبعد ما تكون ذهنياً وعاطفياً وجغرافياً وثقافياً عن نوسكيه جزار وزارة الحرب النازية، وعن دي ساد عاشق الدماء والجسد.

ال الخليفة نفسه لا يعرف الجواب. قال هذا في حديث عابر..

بيد أنه يعشق هذين التمثالين، وقد ارتفعا على منصتين من الجبس، يذكر أن "السياح والوفود الرسمية والرياضيين والأدباء العرب والمستشرقين" بأننا أمّة خسرت نفسها، قتلت أنبياءها وودأت بناتها، وانفكت عن كل أمجادها بعد أن خشت أعز وأثمن رجالها. وأنها أمّة تنتظر الموت بعد أن ترى اسمها ممحوباً من كل خرائط الأرض ومكتوباً بحروف أخرى لجنس آخر كنا نكرهه ونرحب أن نرميه في البحر، ضاحكين؟

\*\*\*

كان الحزن يقتل في وردي وأنا أعيش الوجع الذي يأكل أمتني. وما كنتنبياً كي أحلى هذا الرعب الدموي.. فالصحافة التي لجأت إلى دارها، أغلق حلقها البذخ وال Shawwy، والمفكرون الذين يزوروننا —أبان مؤتمرات سنوية ثابتة— يحجزون في فنادق الدرجة الأولى، يصفقون بعد الشرب والعشاء لقراءات شعرية لم تزل محشوة بالنون والياء والكاف، ثم يرجعون بطائرات البان أمريكان المريحة.

\*\*\*

في حزيران، ومثل مسلة مزخرفة بالحروف المسمارية، ارتفعت في محلتنا شعارات الضد، وارتقت معها حمم الصراخات، متخمة بما لا تعية أو تفهمه القلوب.

كان هذا بالنسبة لمولانا حدثاً خرافياً وتهوراً ومجوناً ودعارة، بل كان هو المستحيل بعينه، وقبل أن يسأل بنفسه عن سر تلك الصراخات، أخرج شرطته المحسنة بالقصاصات وأصابع السايلو الطليانية — ذات النكهة الفاخرة. ثم أعقب شرطته بجنود مدججين بأسلحة نارية وأسلحة مائية وبصناديق من الرمل الصخري، ثم بعد الشرطة والجند خرجت جميرة من النساء العاريّات كي يغيّرن عيون المتظاهرين صوب أجسادهن، ثم جاء موكب الخليفة حافلاً بالنساء والشمباتنيا، و مليئاً بالغلمان والعيّد، ثم أعطى أوامر بالقتل وتفرق المتعددين باليه التي انبعثت من خرطومين هائلين في وجوه الشبيبة الهائجة مثل ريح قوي، ورغم هذا الموت السريع والزعيم اليائس والذل، كان الخليفة يinct إلى رجل فيينا ملء يأسه وماضيه :

-ليسقط هذا البطر المائع. لتسقط الضرائب غير العادلة. الموت لعميل الأوباش. ارفعوا الخليفة عن أعناقنا، اهجموا، لقد تهراً لحمنا من الركود، اهجموا لا تخافوا من سكاكين الشرطة، ارفعوا أعناقكم وموتووا مرة واحدة أيها الرائعون.

كان الخليفة وهو يضحك بين غلمانه ونسائه العاريات يسأل همساً:

-ماذا يقول هذا الصبي الجميل؟

ثم أراد أن يقايضه، علّ هذا الرجل الذي يأخذنا إلى الثورة، يقنع أن يكون من رجاله المختارين؟

\*\*\*

كان من بؤس مدینتنا أن القائد الذي جرّنا إلى التظاهر في وجه الخليفة – وضد ما يسميه بالحكم الفردي أو الحكم العشائري – قد انسحب بكل جبروته وأنفه العريض إلى مولانا الخليفة، وقد نصبه محافظاً على جنوب الوطن العزيز.

وبه انتهت آخر آمالنا الجميلة، وندمت على كل اجتماعاتنا السرية، التي توهمت فيها الصدق والصفاء..

\*\*\*

بعد ذاك التمرد والعصيان المهيب، شيء واحد تغيّر عندنا، فقد كثرت سجون الخليفة، كما جملوها بالآلات فولكلورية حادة التعذيب كل المنتسبين إلى المظاهرة، التي أسميناها فيما بعد بـ "النكسة الكبرى" حيث كان الفشل آخر المحطات التي وقفنا بها، مستورين بالذل والكآبة والدماء التي نشفت ببطء وهدوء، وغدا كل زادنا في السجون أن نقرأ رسالة أطيب أحبابنا، الذي خط لنا تاريخ مدینتنا بأبسط الكلمات:

-يا بلادي: يا بلاد الذين يموتون سراً، أودعك الآن، فقد أمر الخليفة – سيدنا جميعاً – أن تكون الفدية لكل أسرى الحرب الأهلية التي فشلنا بها. وقد وقعت موافقاً وأنا بكل قواي الجسدية والعقلية، أفلّها يا بلادي أموت وحدي عليناً، لتفخر بي حبيبي كلما احتفلت بعيد ميلادي.

[aru@net.sy](mailto:aru@net.sy) : E - mail

[الصفحة الرئيسية](#) | [صفحة الدوريات](#) | [صفحة الكتب](#) | [جريدة الأسبوع الادبي](#) | [الإصدارات الجديدة](#) |

[معلومات عن الاتحاد](#) | [دليل الكتب](#) | [دليل الاعضاء](#)

سورية – دمشق – أتوستراد المزة – مقابل حديقة الطلائع – هاتف: ٦١١٧٢٤٠ – فاكس: ٦١١٧٢٤٤

الذى يدفع بالرجال إلى تحرير أصابع الدومينو لكنه أحب صراحتهم  
الذى يشبه غنچ الداعرات.

رباح نوري يتحرك بين الربابين، مثل جهة الفاصلوايا، تحيف  
حذاً، ليس من بطلون في الدنيا يناسب حجمه، لكنه ثاماً كما  
الباشوات، محترم جدًا، يخافه البلاهاء والعباقرة، يستطعنه الصغار  
والشيوخ، خوفاً من بطشه إذا ما غضب من أي واحد منهم، فما من  
أمل أبداً في العودة إلى الشاي الهندي اللاذع اللذيد.

والقهي في الظهيرة، تغفو على رشفة هنا وحسارة هناك، إنه  
الوقت الذي يدخل فيه حسن عجمي إلى أسرار زياته، فهو يريد أن  
يعرف كل شيء عن كل زبون دخل المقهي، ليقى هو الوحيد الذي لا  
يعرف أحد.. ومن ابن لهم اكتشاف الجوع الذي دام ثلاثة سنين أيام  
داود التي؟ بل من ابن لهم دخول بيت الخطيبة التي تجلس على بعد  
خمسة متر من المقهي، أيام كان "الميدان" بمثابة إسحاك وجذرة أفعاد؟  
وحده، رباح نوري، أو قل حسن عجمي، لا فرق، من دخل

الأسرار جميعها، فهو المؤذن الذي يسمعون صوته في الصلوات الخمس  
من الجامع القريب الذي يسكن قرب المقهي، وهو نفسه السني ي ساع  
السحاجن بالجملة والفرد على غفلة من جهة البدنة الباغة في سوق السراي،  
وأيضاً، هو وليس غيره من خدع الكثير من رواد المقهي - او خدعوه -  
فبائع لهم أجمل ما يكتبه من "الشعر" بسرع التراب، وصارت القصائد  
العصماء تحمل القائم، بينما يرحل اسمه الأول في زحام الماضي، ولم يبق  
 منه سوى جلد فقير على عظام فقيرة.

\* \* \*

- لمن أول من يعلم أن الحياة نكتة، لكننا لن نضحك أبداً قبل أن  
نخلص من آخر مسلم ينام في بلاد الشام والرافدين.

ومع ذلك الليلة، يمكن رباح نوري من اكتشاف لعبة "الدومينو"  
عساه يتمكن بسيبها من خداع المحتلين وسرعة الوقت منهم، بينما  
ستعمل جوش بلاذه في الوقت نفسه، على احتواء التكبات والتخلص  
من افلامها، لحماية البقية من الجوع والشترد والمرور.

هكذا، في تشرين الثاني، من عام الحروف المذهب اشتري رباح  
نوري تلك المتهى وأعطيها اسم المتكك الكاذب، وصارت، يوماً بعد  
يوم، من أشهر مقاهينا، بل دخل إليها كبار الضباط وأهل قراء الكف  
والحانين أيضاً، لا سيما وقد استورد لها "السماورات" من أقصاصي  
"حدم شهر" وزين جدرها ببرايا عملاقة، كان قد سرقها من بيت  
المهراجا "ناجيا برهومان" وصار الشاي الهندي من أكثر اغراءات "حسن  
عجمي" برغم أنه باع استكان الشاي الواحد بخمسة فلوس، ولم ينقطع  
عنه الرباب من منذ النصر حتى متصرف الليل.

دخل المقهي عشرات الكهنة، ومتات المطربين، زارها ملك واحد  
وتسبعة وزراء، كانت في أول أيامها ترفع رسومات المشاهير على  
جدارها المثلثة، فكانت ترى صورة الشاعر الحلبي الكبير "منذر السيد  
الحر" قرب الحكيم العارف الجليل "خالد المطلق" الذي جاء مشياً من  
ضفاف نهر "السافا" إلى "النقرة" وسنتها إلى بغداد، قطع المسافة في نصف  
عام وهو يتذكر اللحظة الساحرة التي سيدخل فيها تلك المقهي التي  
صارت من عجائب الدنيا... وبرغم ان الحكيم العارف لم يفهم السبب

الوحش له خمسة رؤوس، والملوك سيف واحد، بينما يسهوذا لا يحتاج إلى شيء سوى "قبلة" على الفم وتنتهي القصة بالنسبة له، أما رياح نوري، فقد مسح المقهى ومسحته، بالفشل المزور، تعلم منه "الحسين بن حسن" لعنة الدموين، وأنكر عليه من تعلم منه أنه يحق كان "أستاذهم" الوحيد، والمضحك في الأمر، أن الامر لم يبعد مضحكاً، بعد أن صار حتى النصوص من عبد الصادر يضرر أصوات الدموين - برققة - تماماً كما يفعل أفراده من التجار وباعة الكتب الشنيعة، أجل، حتى ذلك البخيل الجميل الذي يلقونه - سريراً - يعيش السجان.. فماذا يبقى للعمجي (حسن) الذي سفج الحياة برمته من أجل أن يخفي اسمه الحقيقي، حروفاً من حيوش المغول ومن مؤامرات اليهود؟! ضاعت الحكاية فعلاً على المورجين، وصار اسم رياح نوري طلي القبار الفائض الذي ينحصر عند أعمدة "الرشيد" ولم يعد من السهل مطلقًا تحفيظ العقوبة عليه، إذا ما اكتشف رجال الشرطة أن صاحب هذه المقهى بدون أي ثبوت قانونية، بل، بدون هوية مختومة من الأصول المدنية، فكيف إذا ما رحل الأصدقاء وتبرأ منه الشاعر "كمال العبدلي" أو كشف العلامة الروسي "مالكوف الملني" من شرب الشاي الهندي؟ بل مثلاً سيُفعل في بقية الوقت السفاح الذي سيمزدج دون زياته من المشاهير والوزراء والمذنوب والشعراء وقراء الكف، وحتى القوادين، أولئك الذين يعلوونه خطياً - برشوة لا تزيد على درعين - آخر أمراء لعنة الدموين، وكيف يمكنه قتل السيد "الدوبارية" دون أن ترمي شهاداته دون أن يبتسم ساقية قتله، لولا يكتشف الأعداء بقية اللعبة؟

ساعة انتهى الحسن العمجي عن المقهى، ولم تعد تتميل غير استسه، هي ينبع ساعة الأحزان الكثري، إنما الساعة التي دخل فيها المعموت السامي لنظام الحكم الفريد "خليلوف الأسد" وقال عند باب المقهى بصوت مبحوح ورهيب، وهو يشير إلى الزبان بأصابع عرباء:

- أنها الناس، من جاء المقهى لشرب الشاي الهندي وتدخين الأركيلة يمكّنه البقاء، وأهلاً به كل يوم وسهلاً، أما الذي يريد عرابة البيوت لهذا الشيء، الذي تسمونه التموين فقد أمر الحكم الفريد، سيدنا جميعاً، الحكم عليه بالسجن أربع سنوات مع قراءة جميع قصائد الشاعر "الطبال" حتى يخسر عقله ويقتل نفسه بيده، خن لا تمحب "سياسة" التموين وسوف تمنعها بالقرفة إذا افضى الأمر طبعاً.

علم الصمت ثوت المقهى وسحاجرها بدل علم الحناجر والدشاديش كلها، وتسلل نصف الزيان منها، وهـم يحمدون الله على أن الوقت ما زال يتسع للتحاجة.. هرب السالب والمسلوب، كما هرب الكاتب والكاتب، ولم يبق فيها غير رسومات المشاهير وهي تتسم - بخمامقة - على زعن لا يشبه الزمان، وعلى عرض مقهى ليس بينها وبين بقية المقهائي من خلاف غير الأصحاب..

هرب العبد كما هرب السيد، هرب الأمير والحقير، طافور صامت يمشي بخضوع موجه، وهو يدفع ثمن الشاي الهندي دون أن يسألوا عن بقية الغلوس.. راح "هـدى مهـلت" وهو يهـف بالمهـنة على صـاغـته الجـميلـة، وخلفـه تـسلـلـ السيد "الأورـدي" بعد أن كـفـ عن قـراءـةـ الكـفـ، وـلـ يـلـفـتـ أيـ وـاحـدـ منـهـماـ إـلـىـ "أـركـيـلـهـ"ـ الـيـقـيـنـ الـيـقـيـنـ تـلـمـعـ قـربـ جـدرـانـ المـقهـىـ، لمـ يـبـقـ إـلـاـ الدـخـانـ،

صرحت به من زاوية في المقهى؛ وتحركت به عبر المساجد والبيوت وأكشاك القراء من باعة الكتب التقليدية، وهي تجسّف بحسب مخلوط بالطحين الآباء الذي تساقط من سطوح المنازل:

”بنجي أحجل الأرباح  
الدومينو يا رياح“

ترى، من آخرهم أن رياح نوري هو نفسه الملقب منذ زمان المغول بالسيد حسن عجمي؟

ليس هنا هو المهم، بل ما حرى بعد يوم واحد، عندها دخل الحكم الفريد من باب المقهى وهو يسأل عن صاحبها؟.. وما إن مد يده اليمني - المربطة بالماں والخوازم - بصفحه لها، حين صار من أشهر زبائنه، بل وأول من أصرّ على قتل السيد ”الدوبارية“ عند رياح نوري.. ولعل أحجل ما استهوى الحكم الفريد قبل مئات السنين، أنه طلب بنفسه وضع صورته على حاطن المقهى بين مشاهيرها من الأدياء والشعراء والمفتين والملاتكة والرايدين الكبار.. والاحمل من ذلك كلّه، أن رياح نوري - بصحابة مفرزة - لم يفعل ذلك أبداً، لم يضع صورة السيد الفريد على حاطن المقهى، والسبب، بسيط جداً، أنه لعب الدومينو على ذلك القرار، وأمام الحكم الفريد نفسه، موازاة أن تخسر حياته إذا مسا حسر، أو يترك الصورة في المكان الذي أراده الحكم الفريد إذا ما ربح الحكم طبعاً.

\* \* \*

لذلك كلّه،  
من العيب فعلاً، أن يقال اليوم - مهما تجرأ البعض، ومهما كان حجم وقاحته وبلاهته ورعونته وشحاعته - أن رياح نوري، مجرد لاعب

لكنه، وحده، رياح نوري، الذي وقف بوجه المبعث السامي، ونظر إلى عينيه، وقبل أن يمد أصابعه إلى انتار الحكم الفريد - المقسوش على جلد النمور - ليمزقه إرباً أمام الحماهير كان قد قال بصوت عميق ملئه فراغ لا يناسب شفاعة جسمه:

- اذهب إلى سيدك الفريد، وقل له ما سأقول لك، إن المقهى،  
أعني هذه المقهى لا شأن لها بالربح ولا شأن لها بالخسارة، المساء عرض مكان صغير خاول أن تجأ فيه بعد أن حشرنا كسل شيء: العائلة،  
والحب، والمدينة، والكتاب، والنهار، والدنارين، قل له، يا الله عليك، إن  
المغول ترکوننا بغیر، وبیهود کنبلک، وإذا كان عليه أن يأتي بنفسه لیران،  
فاغلبه به أنت مرة، أنا أعطيك عهداً، وأقسم عليه، إنه إذا فكر أن يلعب  
”الدومينو“ معى، أنهد أمامكم أن السيد ”الدوبارية“ سيموت بين يديه  
قبل أن يبرد إليه طرفه، قل له أنهاي المبعث السامي، أنا نجحه، وزستان  
”الرمان“ قبل مئات السنين أحجزه أيضاً، وبرغم ذلك، أغلق المقهى أيام  
فال OEM الريبيه.. والله عليه أخيره البلاية وقبل فوات الأولان: أن الدومينو  
محض كلام فارغ، لكن الكلام الوحيد الذي صار يناسب أيامنا الفقيرة،  
فماذا يزيد من سيدك العظيم؟

\* \* \*

في تلك الساعة، ليس في أي وقت سوى تلك الساعة الغرائبية من الزمن، أعني الزمن المسحب من ياقته، صار شارع الرشيد يتعطر بأرض خضراء واستحق باردة.. لا أحد يدرى كم عدد النساء اللسواني نهرجن من البيوت صوب المقهى، وكيف، ولماذا، ومن كان أول من رفع السيد التحيف رياح نوري، التحيف حداً، على أكتاف بالذات،

مثل بقية اللاعبين، قد يخسر مرّة، وقد يزبح مرّة.. الرهان على "الحياة"  
ليس عرض لعبّة أهلاً، هذه، والله، غريب كبير، ومن حق رياح سورى، إذا  
ما كان الأمر كذلك، أن يقتل السيد الدوبيسارة وأن يحضر المساعدة  
بغرفة؛ وقد يبكي... ... ربما سيكى، فعلاً، من حفنة أن يكى زمان  
المغول، هو التحيف، العجب، الغريب، الجوعان، الذي التصرّ على  
نفسه مرتين، وبرغم انتصاره الجارح العبيد، لم يلعن بذلك أحداً.

١٧ أيلول ١٩٩٥

أما بعد،

فهو يدري طبعاً، أن السلامة في السكوت، وأن البقاء الله وحده،  
ها هو "السيد اللامي" يحمل رأسه بين يديه ويكتئي، يكتئي، من عتمة  
"باب المعظم" إلى ظلة "الرصاص" تحيط به العصافير مرّة ونظاره جوقة  
أطفال مرّة... وسواء ما لا أحد يسأل عنه، ذلك إن الحصة التموينية  
ستأتي بعد قليل، والناس في هرج لا يعلم غير الله ما يجيء، يعده من  
مرج ونحب؟

- بغداد كانت مدينة ذات يوم.

جلس في متنه "الشادر" بين كومة أركانات وجمر وسائل،  
سحاية من دخان تسلل فوق الأحزان، لا أحد يتنسم أبداً في تلك  
اللقطة الممحوظة، أراد أن يشرب الشاي "من حق المواطن الشريف أن  
يشرب الشاي في أي وقت يشاء" لم يلتفت إليه سوى صباغ أحذية  
أحاطها المكان، كاد يأخذ الرئيس المقطوعة عساتها تلمع، لكن "السيد  
اللامي" أحسن بالرعب كعادته، راح بصرخ، بينما بقية الجسد تضرّب



في شتاء عام ١٩٩٠ وفي صباح ابشق من سماء خائنة  
واعدة بسطر غزير ، كانت صحف (مدريد) تتناقل آخر أخبار  
كوارث العالم الثالث وأضراب عمال البنزين الذي تسبب في  
عرقلة السير ، وخبر ارجاء حفلة مادونا الى العام القادم ، في الوقت  
الذي انفردت فيه صفحات الحوادث بخبر القاء القبض على المرأة  
التي قتلت يوسف قبل ثلاث سنوات .

١٩٩٤

تمهل قليلاً ريشما أسترد افهاسي ، لماذا أتم مستعجلونه ؟  
على العموم لا أريد الآن شيئاً ، سأنتظره ، قال انه سيأتي في  
الساعة العاشرة ، كم الوقت الآن ؟ العاشرة الا خمس ؟ اذن  
سيأتي عما قليل ، فقط أريد فنجان قهوة ، مأدفع الحساب ،  
كن واثقاً من ذلك ، انظر ، هذه رسالته وصلتني يوم أمس وهو  
الذي حدد المكان كما في المرات السابقات ، أنت تتذكره بلا  
ريب ، أليس كذلك ؟ الرجل الوسيم ذو الشعر الكستائي  
والعينين العميتين ، آه ، لكن شعره لم يعد كستائياً ، لقد صبغته  
الحروب بلون الثاج ، أصدقني القول أنها النادل الطيب ، هل  
أبدو جميلة ؟ لقد بذلت مجهوداً كبيراً كي أبدو كذلك ، هل  
تراني جذابة بما فيه الكفاية ؟ وهذا الثوب ، أتراه مناسباً ؟ نأمل  
فيه جيداً ، ماذا ؟ اللون ؟ كم أنت بلا ذوق ، أنها لسخافة متى  
أن أسألك رأيك بأشياء عصية على فهمك .. كم الساعة الآن ؟  
العاشرة والربع ؟ لا بأس عليك ، أنت تعرف طوارئ الطريق ،

موعدنا العاشرة صباحاً ، آه ، نذكرت ، انه العاشرة مساءً ، يجب ان اصرف الان وأعود ماء ، احيز هذه الناولة من فضلك واعتن بوجبة العشاء ، ولكن اين القهوة ؟ لماذا الامال وانا الزبونة الوحيدة لديكم ؟ لم اقى لماذا انا الزبونة الوحيدة ؟ أبيبب العاسقة التجوية ؟ لا ادري لم يخش الناس العاصفة والامطار ؟ اسمع ، كم هي رائحة ، اهنا تحكى عن .. عن .. ما اريد قوله هو اذن .. باختصار انا اصاب بالكتابه ان لم تعرف الرح وتدهام الامطار شفوق الارض .. الحياة تبدو دائمة وغير محملة بلا عوائق ، اهنا موسيقى الازمنة السعيدة الجيدة ، اثنهم ما اعني ؟ اشك متمنى معي وهذا يسهل الامر بيته .. ان الناس الذين يتكلرون بالمعنى ذاته يرون اوجه متعددة ولذينة الحياة .. على "ان اذهب الان ، يفتح مدير المطعم تحدياتي واستكري قيادة عنى على هذه الزينة الملكة على الجدران ، انه استقبال والمع يليق بليل ، لكن انتظر ، اظن ان هناك خطأ في التاريخ الثبت على زجاج المطعم ، المست معنى ؟ والا اي خطأ شئ زركبرونه بحق الزمن واتمن تكتبون النهاية بالعام ١٩٩٦ هل تمتلكون مثلاً آلة الزمن ؟ ها ها ها .. على السوم مازال امامتنا وفتح طوطيل جداً للرسول الى عام ١٩٩٦ ، وحتى تلك السنة سمع بحروب كثيرة .. اسمع ، لا ازيد القهوة ، ساقرفي في الحال ، .. نسيت ان اخبرك بشيء مهم ، ضع ثلاث سمعات ملوات في شمعدان فضي على طاولتنا ، لماذا ثلاث ؟ وما شأنك انت ؟ هذه اسرارنا التي لا يروح بها الغرباء ، كما لا تسquer في المرشد

ماذا عندكم اليوم ؟ اريد خداء ممتازاً ، خداء يليق بمناسبة عودته، اشك خبرت غوفة في الشمام ؟ اسمع ما يقوله في الرسالة ، لكن لا ، لا يجوز ل碧وح بالسرارة الغريبة ، انت تهمي بـها ، اصرف الان واتي بقالة الشمام ، اريد القاء ظرة على مسافن الاطعمة لكن تمبل ، الاقل ان ترك الاختيار له ، كم الساعة الان ؟ العاشرة والنصف ؟ لا بد ان عطا اصاب سيارته ، لكن سأتي ، ماذا ظن انت ؟ ما پك ؟ اشك شاعب الوجه تكاد تفرق في حزن عريق ، هل اصابك مكروه ؟ ما الخبر زوجتك ؟ السم تصلك رسالتها لا تناس لا يسكنك ان تعلم شيئاً ازء ، الياس ، اصبر ليس لك الا الصبر ، وها انت ترى هذه الرسالة ، كم مضم على من الوقت حتى فقد بها سامي البريد الى اصحابي ، لو كسا صديقين حسين لتراث لك ، انت تهمي الياس كذلك ؟ انه لامر مرعب ان لا تكون قد فهمتني ، كم الوقت الان ؟ العاشرة عشرة .. نسيت ، أظن انه قال لي العاشرة عشرة ، مظبرط ، موعدنا العاشرة عشرة ، ان الرح - احسانا - يبحث بمناسورة فتسن ولكن اين القهوة ؟ بالمناسبة ، الخدمة هنا ليست كما كانت ، لا ادري لماذا تعاملوني بهذا الشكل ؟ ما بال عينيك ؟ هل كنت تبكي ؟ لا شيء في الحياة يستحق البكاء ، اما مثلاً ، هل شاهدتني مرة واحدة ابكي ؟ ونادياً ها قد وصلت الرسالة اخيراً وهو يؤكد فيها .. لا ، لا ، اهنا رسالة شخصية جداً ، المغرب ، كم الوقت ؟ العاشرة عشرة والثالث ؟ انا تأكد من ساعة يدك ؟ لحظة من فضلك ، اشن انتي كنت على خلا عذما قلت ان

الاين ، لا تخطي وتحض وردا أحمر ، كل ما هو أحمر  
يدركه باللمس \*

## الساحر

روائع الموت في الروايا تنبع اشباعها على مهل ، ترسم  
طلالا في الوجوه وتترك ياسا في البيون ، تتمم قاتيه في حشرات  
وأعنة عند الجسد المسيحي حيث الأطراف قد شلت وترسفت  
الرأس عن الحركة الا من اهتزازات خفيفة لا توحى بشيء ،  
الشاهد بيت حتى لم تعد تطبق على بعضها .. تأكلت العجلاء  
وتأكل سما الامل .. ليس ثمة خلاص يرغم ان الورق قد حان  
يلفرا النظرة الاخيرة على سوانة التسعين ، لكن أشخاص السم  
محن مازالت تقامر الفتاء .. يات الفجر يرسم خطوطا من  
الخيبة حول عيون الاهل والاقارب الذين يتذمرون نهایه عذابه  
وعذابهم يشارع الصبر ، أصبح الحديث بينهم جانا شاما ،  
وراثت كاتبة حادة ممزوجة برائحة الموت على البيت الذي يتصبب  
غرب نهر لم يغير مجراه منذ الازمة غارة ..

في بيت آخر لا يجد الا يضئه اشجار عن بيت المحسن ،  
تأخذ الحياة شكلا آخر أكثر حيوية وروحية ووجهة ونهاية :  
— ذلك هو وديع ، اقترب اليه ، ترتعش الأرض تحت  
أقدامه اذا مش ..  
تقول أحدهمن :  
— ولانا لام \*

بخطل مرتكبة ، بين الطاولات الخشبية الراوحة ، سارت  
المراة متوجه نحو باب المطعم ، القت نظره ساخرة على عبارات  
الهنئة التي تزين الواجهة ثم اختفت في انتظافة الطريق ..  
الريح لا تزال تحيط بالعنان السجور العارية ، فيما كف النظر عن  
المطرول وتجمعت كرات النجح مشكلة خطوطا على حفارات الارصدة  
المحدرة .. على النافورة التي كانت تجلس هندها المرأة ، نسمة  
رسالة مؤرخة في شباط عام ١٩٩١ قاتلها البصرة ..

## بيت كثير الغرف

### ﴿١ - الولادة﴾

استولى أقوى الرجال وأغناهم وأمكراهم على أراض ذات سهول وجبال وأودية، واستولى على سماء وشمس وقمر ونحوم تلألأ حين يسود الظلام، واستولى على غيوم ترحل من مكان إلى مكان، واستولى على ربيع وصيف وخريف وشتاء، واستولى على قطط وكلاب وطيور، واستولى على صحراري وبحار وبحيرات وأنهار، ثم تخصص ملائياً ما استولى عليه، فرأى أنه أصبح مالكاً لوطنه لا ينقصه إلا الرجال والنساء والأطفال، فظفر تواً بما ينقصه وبغير جهد.

### ﴿٢ - الخديعة﴾

رأى مالك البلاد مصادفة فيلماً سينمائياً عرضه التلفزيون، ومثلت فيه امرأة جميلة، يضاء، شقراء، فصاح بخدمه أمراً: «أبني هذه المرأة».

فبهت خدمه الذين كانوا وزراء وجنرالات ومالكي ملايين وشعراء

وصحاقيين وشيوخاً ذوي طيبة وفقر، وأباوه أن تلك المرأة ماتت متخرجة منذ سنتين، فقال لهم بإصرار وحنق: «لا أريد سماع أيّ عذر، ولا يهمني أيّ مال ينفق».

فسارع خدمه إلى الاتصال بالشاهير من الوسطاء القديرين الذين نشطوا ليلًا ونهاراً، وجرت مفاوضات طيبة مرهقة في الجنة والنار وفي العديد من عواصم العالم، واختتمت بالنجاح بعد أن دفعت المليان الطائلة، وفازت المرأة الجميلة البيضاء الشرفاء بجائزة مدهها سبعة أيام تقضيها في سرير مالك البلاد، ولكنها لم تبق فيه سوى ليلة واحدة، فرائحة قعدها لا تطاق، وخلفها بارد كأنه حلم جهنم، لا شيء يتوئر فيها، فأعيدت في اليوم التالي إلى حيث كانت، وظلَّ مالك البلاد طوال أيام مجدهم الوجه، يحاول أن ينسى ما تعرض له من خداع خبيث يصعب نسيانه.

### ﴿٣ - لك ما شئت﴾

استدعي المالك الأوحد للبلاد وزير إعلامه، وقال له بصوت صارم: «لِمَ أطلبك إلَّا لِأذْكُرك بِواجباتك كوزير للإعلام، وأنبهك إلى أنّي أعرف كلَّ ما تفعله، وأعرّف أيضًا حتى ما تفكّر به».

قال وزير الإعلام: «لا أحد يجرؤ على القول إنك لست بالعلم بكل شيء».

قال المالك: «أنت احتلاست أموالاً كثيرة ثمينة وجعلتك عاجزاً عن إنفاقها».

قال وزير الإعلام: «ما أحذته هو مجرد قرض بلا فوائد لأنك أكره الربا».

قال المالك: «ولم ترك موظفة من موظفاته إلا وأرغمتها على المرور بفراشك».

قال وزير الإعلام: «ماذا أفعل إذا كانت اللقمة تدنس في فمي، فأفضطر إلى مضيقها وابتلاعها؟».

قال المالك: «وزوجك تعشق سائق سيارتها».

قال وزير الإعلام: «سألفت نظرها إلى أن الناس مقامات وطبقات ودرجات».

قال المالك: «وابنك تلاحن النساء».

قال وزير الإعلام: «ومن مثنا لا يلاحن النساء؟».

قال المالك: «وابنك يركض من مستشفى إلى مستشفى مطالبًا بتحويله من رجل إلى امرأة».

قال وزير الإعلام: «لا أحد يعرف ابني أكثر مني، كسلان ويبحث دائمًا عما يريده».

قال المالك: «وسيازتك تدعس كل أسبوع مواطنًا».

قال وزير الإعلام: «لو كان الناس مهتمين بعملهم لما تسکعوا في الشوارع وارتطمون بالسيارات».

قال المالك: «لو حاولت إحصاء كل خطأك لاحتراً لسانى».

قال وزير الإعلام وهو يحيى رأسه: «لا أحد كاملاً، والله خلقنا لترتكب الذنوب وتنوب عنها، والله غفور رحيم».

قال المالك: «كيف تطبع في أن تُغفر لك ذنبوك وأنت مقصّر في عملك التقصير الخجل؟ لماذا لا ترده على هذه الكتابات التي تنشرها الصحافة الأجنبية المفرضة، والتي تقول أتي في مطلع كل أسبوع

أتزوج من امرأة وأطلقها في نهاية الأسبوع؟».

مستعارة تلاميذ مع منصبه الجديد الجليل، فكانت أول فتوى أصدرها تباع للحاكم المظلوم أن يحارب شعبه الظالم حتى يعلن الاستسلام بغير شرط.

#### ﴿٤ - شموس المتن﴾

طلب الملك الأوحد للبلاد والعباد إلى مفتىه أن يعظه ويعظ المسلمين في أرجاء المعمورة أجمعين، فقال المفتى: «أشتهل كلامي بحمد الله الذي وهبنا الصحراري، تحمي وجوهنا برمالها في أيام الحزن والشدائد، فلا ترى عيوننا ما يحل على ظهورنا، وكل ما لا تراه العيون ليس موجود ولا يopian له».

ف quam الملك شاكراً الله بخشوع داعياً أن يهبه مزيداً من الرمل بينما تابع المفتى كلامه قائلاً: «سنعلم أيهنا ما تعلمناه من آياتنا، وأينا ما سيمعلوم أيهنا ما تعلموه منها».

قال الملك: «تلك قيمنا وتقاليدنا الأصلية، ولن تخلى عنها، وستقاتل في سبيلها إلى يوم القيمة مركبين بالتضحيات الجسام».

قال المفتى: «المهمة الأولى لكل عالم صادق تبئ أولى الأمور إلى أبي خطأ من خطأتهم حتى يبارروا إلى تصحيحه والقضاء عليه، وأبي عالم يتوانى عن أداء هذه المهمة الشرفية ليس بهال وسديد خل جهنم، وهو متي اليوم تذيرك يا طوبل العمر من هذه الشوارع التي تستحدث وترصد لها بسخاء المواريثات الضخمة، فرارضها تُقطع يا منقلت شديد الصلابة، يصلح لأن تمر فوقه السيارات، ولا يصلح ملاداً للرؤوس الراغبة في الأمان والنجاة، ولن يتعجب عنه إلا محظوظ الرؤوس وإسالة الدماء، ولو شاء الله الشوارع حلقتها بغیر أن يحتاج أبناء آدم وجوابه إلى التعب وإنفاق الأموال».

قال وزير الإعلام: «صبت غني يا طويل العمر ولا صبت فقر، وهذه الكتابات لا سبب لها إلا الحسد، ولو كان عنترة بن شداد يحيا في زماننا لعجز عن أن يتزوج امرأة واحدة». فقال الملك بنزق: «ردة عليهم، ولن أرضي عنك إلا حين أرى رذك».

فوعد وزير الإعلام بالردة في أقرب فرصة ردّاً لقلم المخصوص حجراً من سجيل، ويز بوعده، وظهرت بعد أيام على شاشة التلفزيون التايلاندي فتاة جميلة، تحدثت عن صيتها بالملك الأوحد للبلاد، وقالت إنها كانت معجية به وبرجولته منذ نومه أظافرها، وما إن صارت فتاة تصلح لكل ما يشبه الزواج حتى تسللت في الليل إلى غرفة نوم الملك للبلاد، فوجده متوكلاً على قراءة كتاب لابن خلدون وأشعار للمتنبي والإنصات لقرآن الكرب وموسيقى هاندل، فحاولت إغراه بكل الوسائل، فأخفقت، وظل مستغرقاً في القراءة والإنصات.

وكشفت الفتاة عن نهدين سراوين صلين يذكران بالتفاص والإخلاص والعناب الأسود، وقالت بحقن: «الصقت هذين بضمهم، وما تحرك».

واختتمت الفتاة كلامها بأن قالت بصوت متهدج: «كلّ ما ذكرته يثبت أن كلّ ما يشاع عن زواجه كلّ أسبوع من امرأة هو كذب وافراء ولا تنصيب له من الصحة. لقد دخلت إلى غرفته ثياباً وخرجت منها عذراء».

وقد رضي الملك للبلاد عن وزير إعلامه، وازداد إعجاباً بذلك، ودهائه، وعيه مفتياً لكلّ البلاد التي يملكتها، وأهدى إليه لحية طويلة

ففكر الملك في ما سمعه، وتكلم بصوت مبطن بالدموع آمراً بتفعلية كل الشوارع بطيفة كثيفة من الرمل لا تقل سماكتها عن قامة رجل طويل.

وقال المفتي: «ومهمتي اليوم تحذير المسلمين كافة من عادة منعومة مستوردة من بلاد الكفار، وهي عادة تقبيل أفوه النساء»، فلما رأة لم تخلق إلا للإنجاب، وليس للتنبيل أي دور في الإنجاب بل إن تقبيل أفوه النساء من شأنه أن يذل الرجال وينال من كرامتهم، فمن يقبيل فم المرأة سيهون عليه أن يقتل يدها ويقتل قدماها، والمسلم الحق لا يقتل إلا أيدي شيوخه وأيدي أولي أمره تعبيراً عن حبه وولاه وطاعته».

فحجم وجه الملك، وأصدر آمراً صارماً يحظر على الرجال تقبيل أفوه النساء، وبعث فقط تقبيل أيدي أولي الأمر.

وقال المفتي: «ومهمتي اليوم تذكرة المسلمين بأن إخوانهم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانوا يطبخون الحصى، فلماذا يهمل المسلمون اليوم الحصى وبلادهم ملأى بها؟».

فأمر الملك باستيراد الحصى من خارج البلاد بعد أن كشفت الاختبارات أن المعنى الخاليقية قليلة الفائدة، فامتلأت أفوه الجائعين بالحصى، ولكنهم لم يتخلوا عن التذمر والشكوى.

#### ٥ - المطر العاشر

في يوم من أيام صيف حاز، غطت فجأة سحب سود سماء المدينة، فنظر الناس إليها بخوف واستغراب، ولكنها باقتفهم بأنها أمطرت فوق رؤوسهم دولارات من الصباح حتى المساء، فاتبع للكل واحد منهم أن يجمع من الدولارات قدر طاقته وجهده.

وفرح القراء فرحاً منهم من النوم ليلًا، وترافقوا في الصباح إلى المصارف، وزارحوا على أبوابها قبل أن تفتح، ولكن المصارف أبت التعامل مع دولاراتهم إذ ثبت أنها مزورة تزوروا ساذجاً لا يخدع أحداً بينما كانت الدولارات التي جمعها الأغبياء حقيقة ومرحباً بها، وانضطرت السلطات المختصة إلى إصدار تعليماتها المشددة التي تقضي بمصادرة تلك الدولارات المزورة ومعاقبة مقتنيها ومروجهها.

#### ٦ - الهادي والمهددون

عاد وزير التعميين إلى قصره، فوجد زوجته متوجهة الوجه، واجمة، محمرة العينين كأنها بكت طويلاً، فسألتها عن السبب، قالت له بنزق: «ألا تعلم بما يجري؟ الناس يدخلونك ليل نهار، ويقولون إن كل السلع الغذائية باتت بسببك متوفراً بكثرة في الأسواق وبأسعار رخيصة تجعل أسرة أفتر فقير لا تام إلا وهي تعاني التخمة».

قال لها الوزير بدهشة: «أين عقلك؟ هل جنت؟ أیحزنك أن يجيئي الناس؟».

قالت الزوجة: «أنت مجرد وزير، ولك رؤساء قادرؤن على الإطاحة بك ساعة يشاؤون، وإذا علموا بما يقوله الناس عنك، نتموا عليك، وأصبحت خصمهم الأوحد. وإذا كانوا من الرحماء اكتفوا بطردك من منصبك مثل طردة. أنا إذا كانوا غير رحماء، فقد تعتقل، وتسلخ حيّاً، ويُحشى جلدك بالبنين».

ففكر الوزير لحظات ثم قال لزوجته: «كلامك واقعٌ ومعقول، فماذا أفعل؟».

قالت الزوجة: «سارع فوراً إلى تصحيح خطأك خطة خاصة وأنّ حب الناس لك هو لا شيء بالنسبة إلى حبك لكرسي الوزارة».

وبعد أسبوع، فقدت السلع الغذائية من الأسواق، وغلا ثمنها، فجاع الناس، وترافقوا إلى الوزير متضررين مستغيثين، فقال لهم موبخاً وساخرًا إنهم كثيرو العدد، وأكثر ما يحتاج إليه البلد، وتصحّهم بأن يأكل بعضهم بعضاً منها إلى أن اللحم الشريسيصبح شيئاً غريباً إذا كان طاهيه بارغاً وخبيراً، ولكن الوزير لم يتعجب مما كان يخشأه وتخشاه زوجته، فتضنه للناس أرضهم إلى طريق يتكلّل لهم الحصول على الطعام مجاناً، ولكنه يقلّ عدد الأيدي العاملة ويرفع أجورها.

## ٧ - ليس لنا إلا الشكوى والصبر»

يا أمير المؤمنين: حقولنا غراها جراد ماكر لا يقاوم، وليس في محاربتنا آية مؤونة.

فيوغرث أمير المؤمنين بما قلنا، وطلب إلى كبير شعرائه أن ينظم قصيدة في ذم الجراد، وحضر أطباءه على المسارعة إلى تأليف الكتب التي تبين ما في الصوم من فوائد صحية.

(فقل لنا إِنَّكَ رَبِيعٌ، فَمَا هَذَا الرِّبَعُ الَّذِي يَبْدِي الْعَضْرَارَ أَيْسَماً كَانَ)

يا أمير المؤمنين: قوانا نفذت، وصرنا عظاماً وجلاً.

فعجب أمير المؤمنين بما بلغه، وأمر جرائده وإذاعاته وتلفزيوناته بمضاعفة اهتمامها بالبرامج الرياضية.

(فقل لنا إِنَّكَ حَكِيمٌ، فَهُوَلَى مِنَ الْحَكْمَةِ أَنْ تَقْطَعَ الشَّجَرَةَ لِنَأْكُلَ ثُمَّ رَهَاهُ)

يا أمير المؤمنين: حتى أنهارنا تعلق العطش، وبنابيعنا جفت، ولا غيم في سمائها.

فذهب أمير المؤمنين، وأمر باستيراد الغيم من السويد وإجراء تحقيقها، عاجل مع الأنهر والنابيع بغية الكشف عن أسباب تقصيرها.

(فقل لنا إِنَّكَ سَاحِبٌ، فَمَا هَذَا السَّاحَةُ السَّوْدَاءُ الَّتِي تَزِيدُ مِنْ عَطْشِ الْأَرْضِ؟ وَقُلْ لَنَا إِنَّكَ بَانِي الصَّرْوَحِ الْاِقْتَصَادِيِّ فِي الْبَلَادِ، وَلَكُلُّكَ لَمْ تَنِ في الْقُلُوبِ إِلَّا أَسْوَارًا مِنَ الْغَصَنَاءِ)

يا أمير المؤمنين: جبونا خاوية، ونسينا كيف تكون النقوذ. فبقيت أمير المؤمنين، وأمر بفتح أبواب بخزانته حتى يباح لنا أن نتدحرّج ما دفعناه نسيانه.

(فقل لنا إِنَّكَ فَنِي، وَلِمَاذَا لَا تَكُونُ غَيْثًا وَقَدْ مَلَكَ الْبَلَادَ كَلَّهَا عَالِيَّاً؟ وَقُلْ لَنَا إِنَّكَ الْأَمِينُ، وَفِي أَيَّامِ صَارِ الْمَصْوُسِ جِيشًا لَّا يَقْهِرُ)

يا أمير المؤمنين: الخجل يرغم زوجاتنا على القعود في البيوت وعدم الخروج منها حتى لا يتهمنّ باهتمام متسولات متزوجات من متسللين.

فاستذكر أمير المؤمنين ما قيل له، وأمر رجال شرطته باعتقال الخجل ومعاقبته أقصى عقاب.

(فقل لنا إِنَّكَ عَادِلٌ، وَلَا سَبِيلٌ لِهُرْبِ النَّاسِ إِلَى آخِرِ الدِّنَيَا سَوِ عَدَكَ)

يا أمير المؤمنين: كلّ الناس في ضيق وكرب، وأمالهم تهلك أملأ بعد أمل.

فأثار أمير المؤمنين بما سمع، وأمر مغنياته بالاستمرار في الغناء حتى مطلع الشمس.

نظيف دائمًا ولا يحتاج إلى نظافة إضافية تبدد مياه الشرب الشعيبة.  
 (فَيُلَّا إِنَّكَ الصادقُ، وَلَكَتْنَا لَمْ نَرْ فِي سَاحَاتِ إِلَّا الْرِّيَاهُ يَصُولُ  
 وَيَجُولُ وَجْهَهُ مُنْتَصِرًا عَلَى كُلِّ مِنْ عَادَةٍ) وَقَلَّ لَنَا إِنَّكَ الْكَرِيمُ، فَهُلْ  
 شَهَادَةُ الْخَدْمِ تَصْلِحُ لَأَنْ تَكُونَ مُوْتَوْقًا بِهَا؟).

يا أمير المؤمنين: رجالك البسلاء اعتادوا السير على ظهورنا ورقابنا.  
 ففضحك أمير المؤمنين على سلوك رجاله، وأمرهم بالسير على بطوننا  
 ووجوهنا.

(فَيُلَّا إِنَّكَ الرَّحِيمُ، وَلَا غَيْرَةَ لَنَا فِي الْحَيَاةِ إِلَّا الْفَرَارُ مِنْ رَحْمَتِكِ  
 وَقَلَّ لَنَا إِنَّكَ مِنْ كَاطِنِي عَيْنِهِمْ، فَإِنْسَانٌ إِذَا لَمْ يُلَّا إِنَّكَ نَكْلُمُ  
 عَيْنَاهُ، وَقَلَّ لَنَا إِنَّكَ مِنَ الْمَالَدِينِ، وَمَا قَلَّ لَنَا لَمَّا كَذَّبَهُ، فَكَيْفَ  
 نَسْنَسُ مَا يَحْلِلُ عَلَيْنَا؟).

يا أمير المؤمنين: أطفالنا حفاة عراة مرضي.  
 فاحمر وجه أمير المؤمنين حرثنا، وصفق معجباً برقص جواريه.  
 (فَيُلَّا إِنَّكَ صَابُونَ، قَلْمَنْرِ صَابُونَ، وَلَا رُغْوةَ).

يا أمير المؤمنين: الأعداء يحيطون بنا من كل جانب، ولا نهاية لنا إلا  
 إذا قاتلتهم وخضنا غمار حرب طويلة مصممين على أن نقتل  
 ونُقتل.

فضحوك أمير المؤمنين ضحكة أب شفوق، ونصحنا بمنابع السعي  
 لطلب الرزق الذي خلقنا من أجله، ولم نخلق للحرب والقتال.  
 (فَيُلَّا إِنَّكَ السَّيْفُ الْعَاصِبُ الْمُشَهَّدُ، وَلَكَتْكَ سَيْفٌ لَمْ يَسْهُرْ بِهَا  
 عَلَى عَدْدٍ، وَشَهْرٌ فَقْطٌ عَلَى أَعْلَمِ الْبَلَادِ، وَقَلَّ لَنَا إِنَّكَ حَارِسُ الْبَلَادِ  
 وَحَامِيَهَا، فَيَا لَكَ مِنْ حَارِسٍ غَرِيبٍ الْأَطْوَارِ، يَطْلُبُ مِنْ أَعْدَاءِ الْبَلَادِ  
 حَمَاهِهِ، وَيَنْقُضُ التَّرَوَاتِ الطَّالِلَةَ عَلَى اسْتِرَادِ الْحَرَسِ الشَّدِيدِ! وَقَلَّ لَنَا  
 إِنَّكَ شَجَاعٌ وَبِطْلٌ، فَيِّنِي أَيْ الْمَارِكَ تَجْلَتْ شَجَاعَتُكَ وَبِطْلَتُكَ؟).

(فَيُلَّا إِنَّكَ مَتَسَامِحٌ، وَلَكَتْنَا لَمْ نَرِ إِلَّا الْمَشَانِي تَنْصِبُ وَالْأَجْسَادُ  
 تَأْرِجُ مَتَدَلِّيَةً مِنْ أَعْوَادِهَا، وَقَلَّ لَنَا إِنَّكَ تَحْبُّ الرِّجَالَ الْأَحْرَارِ، فَهُلْ  
 جَلْدُهُمْ وَحْدَهَا الصَّالِحةُ لِلْسَّلْخِ؟)  
 يا أمير المؤمنين: علماً وَتَنَاهُ جَهَالٌ، وَأَبْطَالُنَا رَعَادِيدٌ مَسَاوِيُّونَ،  
 وَشَهَادَةُ الْمَاهِيَّةِ يَنْظَمُونَ قَصَائِدَ تَمَدُّحِ الْقَاتِلِ وَتَلْعُنِ الْقَتِيلِ وَتَعْصِي  
 عَلَى قَلْهَ ثَانِيَةً.

فَأَعْصَيْتَكَ أمير المؤمنين من قولكِ، وَنَدَدَ بِالَّذِينَ لَا يَتَقَوَّلُونَ بِمَنْتَجَاتِ  
 بِلَادِهِمْ وَصَنَاعَاتِهِمْ، فَيَرُونَ نُورَ الشَّعْمَةِ فِي الْبَلَادِ الْفَرِيقَةِ وَلَا يَرُونَ  
 فِي بِلَادِهِمُ الْأَقْمَارَ الْبَارِزَةَ وَالشَّمْسَ الْمُشَرِّقَةَ.  
 (فَيُلَّا إِنَّكَ لَا تَأْتِ فِي الْلَّيلِ سَاهِرًا عَلَى مَعْلَمِ رَعِيشَكِ، فَفَسَّرْتَ مَا  
 قَلَّ، فَمَنْ كَانَ مَثْلُكَ مُسْتَحْسِنُ النَّصَالِ إِلَى عَنْهُ إِذَا أَغْصَنْتَ عَيْنِيهِ  
 لَيْلَةً).

يا أمير المؤمنين: حاضرنا غبار، ومستقبلنا غبار، وما مضينا غبار،  
 وَدَمَّا وَتَنَاهُ غبار، فَمَاذا نَفَعَ؟

فَابْتَسَمْتَكَ أمير المؤمنين ابتسامة طَلْفَلِ مَرْح، وَطَالَبَ مُنْجِمِيَّهُ بِالْإِسْرَاعِ  
 فِي إِعْدَادِ جَوَابٍ عَنْ سُؤَالِنَا يَكْفِلُ لِيَقْنَاعَ كُلَّ قَانِطٍ.  
 (فَيُلَّا إِنَّكَ مُحْتَلٌ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَلَكَتْكَ لَوْ كَتَتْ تَكْرِهُهُمْ لَا  
 اسْتَطَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَكْثَرَ، وَقَلَّ لَنَا إِنَّكَ غَفُورٌ، فَغَفَرْتُ لِلْأَعْدَاءِ، وَلَمْ  
 تَنْفَرْ لَحْظَةً لِشَعِيلٍ).

يا أمير المؤمنين: لقد وعدنا يوم ولدنا بِقَبُورِ فَسِيحةِ نَالَهَا مِنْجَانَأً فِي  
 أَنْتَ الْعَمَرِ، فَإِذَا مَا وَعَدْنَا بِهِ لَمْ يَسْوِي كَذِبُكِ، وَلَمْ نَنْلِ إِلَّا إِيَّانَا  
 جَدِيدًا بِغَيْوَاتِنَا.

فضحوك أمير المؤمنين، وَوَعَدْنَا بِأَنَّ الْبَحْرَ كَلَّهُ سَيْكُونَ مَقْبِرَتَنَا  
 الْخَاصَّةَ لَا يَشَارُ كَافِيَّهَا أَحَدٌ، وَتَبَهَّنَا إِلَى أَنَّ الْمَيْتَ الْمَدْفُونَ فِي الْبَحْرِ

يا أمير المؤمنين: البلاد بلادك، ولكنها بلادنا أيضاً.

فدمعت عيناً أمير المؤمنين، وتهجد صوته وهو يأمر سيفه بقطع رؤوسنا، وبطعن السياقون تواً.

(قبل لنا إنك القوي، وأنت القوي حقاً على العزل من قومك، وقل لنا إنك قائد ملهم، فليلهمنا الله الصبر والسلوان، وليهمنا حسن الخاتمة).

يا أمير المؤمنين: كلّ ما تفعله خير، قطع رؤوسنا أتاح لنا أن نوفر الأجرور التي كتنا ندفعها للنحاقين، واسترحتنا من أوجاع أسناننا المنخورة، وتحصلتنا من صداع أعيننا بغير أن نعرف له دواء.

#### ﴿٨﴾ - (التار)

أعددنا محقة لا نظير لها، وتطلع أحدهنا باقتحام نارها كي يتبع لنا أن نختبر قوتها، فإذا هي تغرق في ثوان، فرقنا بها، ورمينا في نارها بقر لا يزغ إلا في الليلي التي تحتاج فيها إلى الظلمات، ورمينا في نارها بمدائن تهوى الرياض البيض، ورمينا في نارها بأمهات تناسين أهنأ أمهات، ورمينا في نارها بأباء يغضبون أبناءهم، ورمينا في نارها بأباء يذرون آباءهم وأمهاتهم وأجدادهم، ورمينا في نارها بثياب عصية بالية تذكر بذلك طويل، ورمينا في نارها بحakanين ماتوا بغير أن يدفنوا، ورمينا في نارها بكتب تشوه عمياناً يتصدون لإرشاد المبصرين، ورمينا في نارها ببيوت شيبة بجوارب عصية، ورمينا في نارها بعصري وسياط ومحققين ومسجونين ومشائخ، ورمينا في نارها بشجر لا يزهر ولا يشر، ورمينا في نارها بكل ما تحمله من دموع، ورمينا في نارها برماد نار قديمة، ورمينا في نارها بالرجال الظالمين، فانطفأنا في النار، وظللنا مظلومين.

#### ﴿٩﴾ - بقراتنا العجاف

﴿١﴾ رشح الجنرال أحمد سيف الله قائداً الجيش نفسه لرئاسة الجمهورية، وأعلن في بيانه الانتخابي أنه ليس قائداً عسكرياً فحسب بل هو عالم قد يحصل إلى ابتكار دواء لا مثل له سيجعل من كان عمره ثمانين سنة يتزوج من أربع، ولا يكتفي بيتذر ويشكر ويطالب بالمرizد.

ووعد الجنرال الناس أجمعين بأنه سيوزع عليهم دواعه المبتكر مجاناً.

ولما صار الجنرال رئيساً للجمهورية حيث بويعه، ولم يوزع دواعه على الناس، واكتفى هو ورجاله بمعاطي ذلك الدواء، فلم ينج أحد من الأغصاص، لا فرق بين رجل وامرأة، ولا بين طفل وعجز، ولا بين حي ومت.

﴿٢﴾ ضحكتنا هازلين لما علمتنا أن الجنرال أحمد سيف الله قائد جيشنا قد رشح نفسه لرئاسة الجمهورية، فهو أحقن وجيان وصلف، ولم يتصدر إلا في معاركه في الملاهي ونوادي التمار، ولكن رجال الشرطة أخبرونا أن الجنرال رجل شديد الأخلاص لشعبه ووطنه، ومن كان مثله لا يليق به سوى المأوازرة والانتخاب.

وظهر شيخ جليل وقور في برنامج تلفزيوني، وقال بصوت خاشع منهجد وعيدين مبتلين بالدموع إنه رأى في نومه سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم، وسمعه يردد أن كل من ينتخب الجنرال أحمد سيف الله لن يحاسبه منكر ونكير في القبر وسيدخل الجنة، ولما كتبا نزغ في العيش في الجنة، ونحرص على لا نفصب رجال الشرطة، فقد تسابقنا جميعاً على انتخاب الجنرال رئيساً لنا،

وكسله، ويزمي سمه إلى ضفتيه بغیر أن يتعصب الصيادين.  
قال الجنرال: «انظروا إلى الأشجار».

فنظر الأطفال إلى الأشجار. ما أجملها! متزداد بهاء وفتحة حين  
تنبلق أقداماً تبيع لها الهرب والركض من حقل إلى حقل.

قال الجنرال: «انظروا إلى العصافير».

فنظر الأطفال إلى العصافير. ما أجملها وهي ترقص في السماء! ليتها  
تشفق علينا وتعلمنا الطيران!

قال الجنرال: «انظروا إلى البيوت».

فنظر الأطفال إلى البيوت. ما أجملها.. جلد أبيض وقلب أسود!  
وصاح الجنرال بالأطفال متسائلاً: «أين أمهاكم وأباكم؟ أمهاكم  
جميلات أم قبيحات؟».

ما أجمل أمهاها وعصميهن المنهالة على رؤوسنا وظهورتنا، تحاول  
إعادتنا للمستقبل وجبر الآثار!

ما أجمل الجنرالات وجندتهم يدحرون خصومهم ولا يبقى غيرهم  
على وجه الأرض!

## ﴿١١﴾ - الوفد الشعبي

ذهبنا إلى رئيس جمهوريتنا المنتخب حديثاً، وهنائه بكلام غير  
منافق على نيله ثقة الناس الكارهين لأنسباب الجنرالات وجنودهم،  
فقططتنا قائلاً: «لا تضيئوا وقتي ووكلكم بالسفاسف، فإذا كان  
لديكم أي مطلب، فلا تترددوا في عرضها عليّ، وستسألون أيّ مطلب  
شرط أن يكون معقولاً ومقبولاً».

قلنا له إنّ أرض طرقانا باهت مغطاة بالحفر، والمشي عليها لا يخلو

فلم ندخل أية جنة، وظلّ رجال الشرطة يطاردوننا كأننا قتلا  
أمهاتهن.

﴿٢﴾ ألم يقطنني زوجتي من نومي لعلمني أنّ التلفزيون أذاع أنّ  
مجهولاً اغتال الجنرال أحمد سيف الله، وحل محله الجنرال آخر لا  
تذكري اسمه، فأغمضت عيني، وتابعت غير مبال، فلست المقتول  
ولا القاتل.

## ﴿١٠﴾ - الجنرال يزور القرية

توقفت السيارة السوداء في ساحة القرية، وترجل منها الجنرال،  
وسار وحده لا يراقه أي حراس، فبادر الرجال والنساء إلى  
الاختباء، ولم يبق في الساحة سوىأطفال كان فضولهم أقوى من  
خوفهم.

اقرب الأطفال من الجنرال بخطى متعددة، وتحلقوا حوله محملين  
باستغراب ودهشة إلى ثيابه العسكرية، فقال لهم الجنرال بصوت  
مرح: «ألم تروا جنراً من قبل؟ لماذا وجوهكم صفراء بلوون  
الليمون؟ هل اللون الأصفر هو الرزي الشائع في الريف؟ ما بكم؟  
ألا تم حزانى أم خائفون؟ انظروا إلى ما حولكم. كل شيء جميل  
ورائع».

فحذق الأطفال إلى ما حولهم، وازدادت عيونهم اكتشاماً.

قال الجنرال: «انظروا إلى الغرور».

فنظر الأطفال إلى الغرور. ما أجملها! تشبه قطعاً كبيرة من الجين  
الأبيض، وتصلّح لأن تتكلّم مع الجنرال الأسود.

قال الجنرال: «انظروا إلى النهر».

فنظر الأطفال إلى النهر. ما أجمله! ليه يخلّي قليلاً عن بخله

من المخاطر، فابتسم، وقال لنا: «لتبق الطرقات على حالها لأنكم لن تخرجوا إلى المشي».

وعودنا بأن يمتحن كل واحد مثنا سيارة تشبه الطائرة.

قلنا له إن الماء الذي نشربه كل يوم ماء كريه، حتى قططنا تائياً أن تشرب منه، فابتسم، وقال لنا: «إنسوا الماء، ففي عهدي الجديد ستشربون البيرة أو الشمبانيا حين تعطشون».

قلنا له إن بيوتنا ضيقة، ولا صلة لها بالشمس والهواء، فاحتر وجهه غيظة، وأمر بهدمها فوراً، ووعودنا بأن يسكننا القصور المنية بدلاً من بيوتنا الوضعية.

قلنا له إن دعواتنا إلى الله مهما كانت مخلصة لا تستجاب لأن مآذن مساجدنا تشبه الأقراب، فابتسم، ووعودنا بتزويدنا مجاناً بأحدث ما في الأسواق من مكبرات الصوت.

قلنا له إن أطباعنا مهملون وجشعون، وأمرنا بتنا زرداد بدلاً من أن نقل، فابتسم مشفقة، وأمر رجال أنه الأشداء بأن يحرموا الحدود جيداً ويعتبروا أي مرض من الدخول إلى البلاد، وكل مرض يتجرأ على العصياني يقتل بلا محاكمة.

قلنا له إننا نشتغل من شروق الشمس إلى غروبها وبأجر قليل، فضحك، ووعودنا بأن نشتغل ساعتين فقط في اليوم، ونخصص بقية الساعات للترحش بزوجاتنا.

قلنا له بأصوات مبحوحة إن زوجاتنا قبيحات وسلبيات اللسان، فابتسم بحثة، وحصتنا على تطليقهن فوراً، ووعودنا بأن يزوجنا من أجمل النساء.

وعودنا إلى بيوتنا التي تهدمت لتعيش مع زوجات يزدادن قبحاً

وصلفاً وغباوة، ولتشغل كل يوم من شروق الشمس إلى مطلع الفجر، ولتشع في طرقاتنا بأقدام مهترئة، ولشرب ماء تهرب الكلاب من شربه، ولتظل إيهالاتنا المتضرعة إلى الله تتطلق من مكبرات الصوت ضوضاء لا تجلب لنا إلا الأرق.

١٢٦ - بعد ألف سنة»

مات رئيسنا الذي انتخبناه مرة واحدة وانتخب نفسه في بقية المرات حتى لا يتعينا..

مات رئيسنا بعد أن قدم على رؤوسنا ألف سنة حافلة بشتي المراسرات، فبادرنا إلى ارتداء أثقم ما لدينا من ثياب، ومشينا في جنائزه نبكي وندحر وتتدبر مطاطني الرؤوس.

وملأ الليل أغصى الخزن المتزايد بصرنا وبصيرتنا، فضلنا الطريق ونعن تحخط فوق زوجاتنا، ولم تعد نفرق بين الهضبة والوادي، ولم تحاول زوجاتنا تصحيح أخطائنا وإرشادنا، وتابعن الشهيق والزفير والنحيب المز المتروجع، فالكارثة شاملة تهfer أي صبر..

مات رئيسنا، وحلّت محله ابنه الصبي الجميلة، فتهامستا قاتلين: «قاتل جميل خير من قاتل قبيح».

ودشت بنت الرئيس عهدها بخطاب قصير بلغ ملوك بالوعود، ولكننا علمنا من مصادر موثوقة أنها ناقمة على الخروج إلى النساء المفترشى بين الرجال، والذي يتحول دون تطور البلاد، ووعدت أن تضاجع كل الرجال، فلم تشر الصحفة بكلمة إلى هذا الوعد النبيل الخطير، ولكنها تماطلت في النساء على كل مخلص يبتكر أساليب جديدة للقضاء على التناولات بين الطبقات، وتمينا لا تتكث بنت الرئيس بوعدها، وقلنا: «الرئيس قعد مليون سنة على

وأعلنت بنت الرئيس أنها ستكون أول المنفذين لهذا القانون، وستتحول من امرأة إلى رجل، فتصابيحاً سكارى، فما لم ننهه في الماضي قد نهله في المستقبل القريب، وما نتوق إليه يجهل التفريق بين الأذى والأعلى والآكل والماكول.

### ﴿١٣﴾ - السحر المستمر

تلقي الليل والنهر على سرير ضيق أغراهاه بأن يمتدجاً معه، وتلقي تحت أغصان شجرة ترغب في موت سريع ولا تدرى متى ستموت، وتلقيا في بحر لا يوقف عن الترترة ويتشنى بثرثرته، وتلقيا في أغنية يرددوها رجل وأمرأة، وكان الليل صوتاً أحلى ميموحاناً والنهر صوتاً رقيقاً عذباً، وتلقيا حول موائد خاوية يجلس إلها جياع سامتون، وتلقيا في قضية طفل رضيع غارق في النوم، وانتظرا حتى تراخت أصابع يده، وتسلل منها الليل أولاً ثم تبعه النهر غاضباً لسبب غير معلوم، ولم يلتقطا مرة أخرى إذ اختفاء، فالليل لا يحب إلا لونه ونحوه وقمره، والنهر لا يحب إلا شمسه وبائي أن تقارن بأحد، ولكنهما انفقا فيما بعد على الإعجاب برجل كثير الأحلام يحمل بأنه يسيبح وزيراً للداخلية في بلد يكثر فيه رجال الشرطة والسجون، ويطلقه توا وسطاء الناس الراغبين في الحفاظ على حياتهم وثرواتهم، ويعرضون عليه مختلف أنواع الهدايا من مبالغ مالية طالئة و سيارات وقصور ومزارع ونساء لا يجرؤون على رفضهن، فيعرض عنها متعضاً، ويعجّلها تجاهل المزدرى، فلا يقتضي الوسطاء المؤمنون بأن الإنسان حلق ليأكل ويأكل كل، ويعرضون عليه هدية جديدة عوشاً حفيتاً قادراً على أن يجعله رئيساً للوزراء، فلا يرفض هدفهم، ويحثّهم على الإسراع قائلاً لهم إن خير البر عاجله، ويستولي على الأموال والسيارات

رؤوسنا، وهذا هي ابنته مستعدة على رؤوس مختلفة وأصلب». فسخرت نسااؤنا من تفاؤلها، وتبين بأن الراكب سيسريح مركوبها، فلم تأبه لهن، وكذا سماكاً يرحب بصديقه.

وسرت شائعة غريبة مقادها أنّ بنت الرئيس تعادي كلّ رجل يضاجعها بأسباب موروثة من الماضي، فباحتها بطلاقاتها على التجديد والابتكار، وقلنا إنّ طالب العسل لا يالي بلغ التحل، وشوهدت بنت الرئيس تمشي في أرجاء قصرها بغفر ثياب، فشهقتنا إعجاباً بها الإلغاء العريق للغوارق بين الأغنياء والقراء، وندّرنا أنّ أطيب الفواكه لا تؤكل إلا بعد تشيرتها، وأمرت بنت الرئيس بهدم السجون، فابتسمنا بمرح، فالاختلاف بسيط بين الفرج والفرج.

واستقبلت بنت الرئيس كبار القلة واللصوص ومهربى المخدرات، فوفقاً لأمامها نادمين مضطربين، وأعلنا توبيهم ووهب ما ينتهي من حياتهم لبناء المستشفيات والمدارس، ولكنّ بنت الرئيس رفضت أن يتقدّعوا في سنّ مبكّرة، فالبلاد المتحضرّة هي التي تحسن استغلال طاقات أبنائها كلّهم أجمعين، وعيتهم في أخطر المناصب، فلم تكرّت لما حدث، قلّيس لدينا ما يصلح لأن يسرق، ونساؤنا سيددن قبّعاً إذا صرن أرمّل برتدين ثياب حداد تليق بهن.

وأصدرت بنت الرئيس قانوناً يفرض على جميع المواطنين إجراء عمليات جراحية مجانية في المستشفيات الحكومية، تحول الرجال نساء والنساء رجالاً، فلم تعارضه، ورحينا به، فقد تعينا تعباً طويلاً، وأنّ لنا الراحة والقعود في البيوت، ولكننا خشينا زوجاتنا اللواتي نظرن إلينا النظارات الهازنة المشكّفة المهدّدة بالانقسام الريء.

والقصور والمزارع والنساء، وبقبل ليل لا يعقبه نهار، فزهو الليل،  
فما أعجب به أثبت أنه جدير بالإعجاب، ويندم النهار.

#### ١٤ - ستضحكك كثيراً

﴿١﴾ في يوم من الأيام، اقتحم رجال الشرطة بيتنا، وبمحظتنا عني وعن زوجتي، ولم يتمكنوا من العثور علينا لأنّي تحولت مشجباً،  
وتحولت زوجي أرملة بطيب المолос عليها، وضحكتنا كثيراً عندما  
خرجوا من البيت خائبين. ﴿٢﴾ وفي يوم من الأيام، كانت  
السماء زرقاء صافية لا تعبّرها أية غيمقة، فقصدنا أحد الأسواق، فإذا  
رجال الشرطة يدهمون البستان بعد دقائق طامحين إلى الإمساك  
بنا، ولكنهم لم يوفقا لأنّي تحولت غرابةً أسود اللون، دائم التعب،  
وتحولت زوجي شجرة خضراءً، غيررة الأغصان، وضحكتنا كثيراً  
من إخفاقهم. ﴿٣﴾ وفي يوم من الأيام، تذمرت زوجتي من عملها  
في المطبخ، فذهبنا إلى أحد المطاعم، وما إن بدأنا نأكل حتى طرق  
رجال الشرطة المطعم، واقتحموه عابسي الوجه، وفسحوا عنا تقنيشاً  
دقيقاً، ولم يجدونا لأنّي تحولت سكينة، وتحولت زوجي كأساً من  
زجاج ملأى بالماء، وضحكتنا كثيراً لحظة غادروا المطعم قاطلين.  
﴿٤﴾ وفي يوم من الأيام، كنا نسير الهوينا في شارع عريض  
مزدحم بالناس والسيارات، تنفرج على ما في واجهات الدكاكين  
من سلع، فإذا رجال الشرطة يحملون الشارع، ويعقلون المئات من  
الرجال والنساء، ولكنهم لم يستطعوا اعتقالنا لأنّي تحولت حائلة،  
وتحولت زوجي إعلاناً ملتوياً ملصقاً بحائط، وضحكتنا كثيراً من  
غيتوتهم. ﴿٥﴾ وفي يوم من الأيام، ذهبنا إلى المقبرة لزيارة أشي،  
فهاجم رجال الشرطة المقبرة، وقبضوا على أبي، ولم ينجحوا في  
القبض علينا لأنّي تحولت كلمات رثاء مكتوبة بحبر أسود على

زكريا تامر

# الحصريم

قصص

## قصص الكتاب

الوحش	ستون سنة	المهارشة
الضاحكة النائحة	الشقراء !	مصرع خنجر
الأجر	الأغصان	مغني الليل
الثوب العتيق	بيت آخر	يوم أشهب
الجائحة	الشركة	رجال
انتظار امرأة	الأدغال	الغيث
أول الهدايا	يد الكذب	الجولة الأولى
المطربش	الشهادة	نهار وليل
التصغير الأول	الساعة الثامنة	ملاءة في زقاق
الطائر الأخضر	الحطام	الإجازة
الساحر	امرأة جميلة	الطالق
قبير خاو	الأخرين	خاتمة الهلاع
الأجنحة السود	سارقو السجاد	يا خسارة !
النهر	الجنة	رجل لامرأة وحيدة
نهاية انتظار طال	رجل كان يستغيبث	المفتضح
المطاردة	الهارية	القطة
وعدها الرابع	الرقص الشرقي	ليلة باردة
الدليل	المفاجأة	صامتون
الوطن المفدى	ها هو ذا الحصان يطير	لا يعرف
الحكاية الأخيرة	عفاف	المستشارون

# الحِصْرَم

قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك

(سورة يوسف)

## الأجر

سار نصوح الفاني في الحارة بخطى متباطئة مهاباً وقوراً، يهرع الناس إليه، ويبارون في تقبيل يده بخشوع، فيتمم بصوت متهدج داعياً لهم بالتوفيق والرزق الكثير والنسل الصالح، وعندما وصل إلى بيته، وجد زوجته حسيبة منهكـة في قراءة مجلة نسائية عابـسة الوجه مشـمـئـزة كـأنـ قـمـامـة تـنـتـاثـرـ فيما حولـهاـ، ولم تستقبلـهـ بكلـمةـ تحـيـةـ أوـ نـظـرةـ تـرحـيـبـ، ولـعنـ سـرـأـ ساعـةـ تـزـوـجـ شـابـةـ جـمـيـلـةـ وـصـغـيرـةـ السنـ.

ومـاـ إنـ جـلـسـ بـجـوارـهاـ عـلـىـ الأـرـيـكـةـ حتـىـ أـعـطـهـ حـسـيـبـةـ أـورـاقـ دـعـوىـ لـصـدـيقـتـهاـ رـحـابـ، وـطـلـبـتـ إـلـيـهـ أـنـ يـطـلـعـ عـلـيـهـاـ وـيـقـولـ لـهـ رـأـيـهـ بـوـصـفـهـ قـاضـيـاـ، فـتـصـفـحـ أـلـوـرـاقـ بـسـرـعةـ، وـقـالـ لـهـ إـنـ الدـعـوـىـ خـاسـرـةـ، فـقـالـتـ لـهـ إـنـهـ تـحـبـ صـدـيقـتـهاـ رـحـابـ وـتـرـيدـ خـدـمـتـهاـ بـأـيـةـ وـسـيـلـةـ، فـقـالـ لـهـ إـنـهـ يـحـبـ أـيـضاـ صـدـيقـتـهاـ رـحـابـ وـيـرـيدـ خـدـمـتـهاـ بـكـلـ الـوـسـائـلـ، فـهـيـ حـوـرـيـةـ هـارـبـةـ مـنـ الجـنـةـ، وـنـظـرـةـ مـنـهـاـ تـحـيـيـ المـيـتـ، وـتـسـتـحـقـ كـلـ خـيـرـ، وـلـكـ دـعـواـهـاـ خـاسـرـةـ، وـلـنـ تـنـجـحـ إـلـاـ إـذـاـ تـغـيـرـتـ بـعـضـ الـمـعـلـومـاتـ الـوـارـدةـ فـيـ أـلـوـرـاقـ، فـقـدـمـتـ إـلـيـهـ حـسـيـبـةـ مـمـحـاةـ وـقـلـماـ، وـقـالـتـ لـهـ وـهـيـ تـبـتـسـمـ اـبـتسـامـةـ ذاتـ مـغـزـىـ:ـ "ـ هـيـاـ اـعـمـلـ ، وـأـنـتـ تـعـلـمـ أـنـيـ وـرـحـابـ لـاـ نـضـيـعـ أـجـرـ كـلـ مـنـ أـحـسـنـ عـمـلاـ .ـ"

فـسـأـلـهـاـ عـنـ أـجـرـهـ، فـأـدـنـتـ فـمـهـاـ مـنـ أـذـنـهـ وـهـمـسـتـ تـخـبـرـهـ بـالـأـجـرـ، فـأـمـسـكـ نـصـوحـ لـحـيـتـهـ بـأـصـابـعـ يـدـهـ الـيـمـنـيـ، وـدـاعـبـ شـعـرـهـ قـائـلـاـ لـحـسـيـبـةـ:ـ "ـ ذـلـكـ وـالـلـهـ أـجـرـ يـبـتـهـيـ بـهـ، وـوـعـدـ الـحـرـ دـيـنـ .ـ"

وبـادـرـ إـلـىـ أـخـذـ الـمـحـاةـ وـالـقـلـمـ مـنـ يـدـيـهـاـ، وـانـكـبـ عـلـىـ تـزـوـيرـ أـورـاقـ الدـعـوىـ تـزـوـيرـاـ مـتـقـنـاـ حـتـىـ أـنـجـزـهـاـ، وـأـعـطـاـهـاـ لـزـوـجـتـهـ مـتـفـاخـراـ وـوـاـثـقاـ بـأـنـ الدـعـوىـ بـاتـ رـابـحةـ لـاـ

محالة ، فابتسمت ابتسامتها الماكرة ، ونصحته بحشد قواه والتأهب للقاء صديقتها في يوم قريب .

## شارة معرفة **الخير والشر**

اذكر اني دخلت إلى المطعم بخطوات واثقة مطمئنة، وتوجهت نحو طاولة في آخر القاعة، عندما سمعت رجلا يقول لزوجته بصوت غير منخفض تماماً، وهو يشير إلى:

- هذا هو الشاب المطلوب للدوائر الأمنية، لأنّه قام بأكبر عملية سطو في التاريخ.

وكانت ردّة فعل الزوجة تتراوح بين الدهشة والذعر، لكنني لم أعبأ بذلك، مؤكداً لنفسي أنّ الرجل أشار إلى سهواً، وهو يقصد شاباً آخر من الحالين في قاعة المطعم.

و قبل أن أجلس على الكرسي وراء الطاولة، ارتفعت وشوشت غير اعتيادية، مصحوبة بنظرات تتفحصني، ثم دنا مني رجل أسمى الوجه، متين البنية، برم شاربه وقال:

- هل أنت جريء إلى هذا الحد؟

فقطلعت إليه باستفهام، ثم أضاف:

- فعلت ما فعلت، وتدخل إلى مكان عام كهذا؟

لم أهل كلام الرجل عمل الجد، وقلت لنفسي لا بد أنه يمازحني، أو أني أحلم. وسألت:

- ما الذي فعلته كي أمنع عن دخول مكان كهذا؟

عاد برم شاربه الذي استطاع مع ابتسامته، وقال:

- وماذا أيضاً؟  
 - السكين فقط.  
 - حاضر.  
 وهي، ثم عاد وهو يعلم في كلتا يديه طبقاً من قش، ملقة فوق السكين، ووضعه أمامي على الطاولة، وانصرف.  
 تأملت حد السكين فكان ماضياً، وقطعت رأسي من العنق،  
 ووضعته على الطبق، وحملت إلى الرجل الأسر.  
 كان منهكاً في تناول طعامه، عندما قلت له مشيراً إلى الطين:  
 - هذا رأسي، أرجو أن تستلمه إلى أقرب خفر للشرطة.  
 فازداد لعنة في قمه كان قد مضنه ثم قال:  
 - خيراً فعلت، فلا داعي لأن تذهب بكمالك إلى هناك، ولكنني لا  
 أحب أن أسلم أحداً، كما قلت لك.  
 هذه خدمة أرجو أن تقدّمها لي، ثم إنهم لن يستلموك مكافأة بدل  
 الرأس وحده.  
 طارت حية أرز من قمه، عندما ضحك بصوت عال وقال:  
 - المكافأة للرأس يا إنسان، لأنه هو الذي قادك إلى السطرين،  
 وليس ثمرة رجلك.  
 كفت عن الضحك وأضاف:  
 - سأسلم رأسك، ولكن ما يمنعك عن الذهاب معى، فقد  
 ينجذبون أجزاء من جسنك.  
 قلت:  
 - لا شيء، تذهب معاً.

- كل الصحف تنشر صورتك منذ يومين، واجهزة الأمن أعلنت  
 تحت الصورة، عن مكافأة مالية تتضمن من يسلّمك إلى أقرب خفر  
 للشرطة، لأنك قمت بأكبر عملية سطو في التاريخ، وأنت آخر من  
 يعلم!  
 وأذلت مني كلمة:  
 - أنا؟  
 وقبل أن يعلن الرجل بيبي، أخرج صحيفة مطبوعة في جيبه،  
 وفتحها، ثم أشار إلى صورة لي كُنّيت فورها بخط يبارز كلمة  
 «مطلوب»، وقال:  
 - أليست هذه صورتك؟  
 قلت:  
 - نعم.  
 قال مبتسمًا:  
 - أنا لا أرغب في المكافأة، لأنني لا أحب أن أسلم أحداً للشرطة،  
 ولكنني أقترح عليك أن تتصرف.  
 قلت له:  
 - أنت رجل طيب، وأنا لم أقم بعملية سطو.  
 فقال وهو يستدير عائداً إلى مقعده:  
 - شكرأً، ولكن هذا لا يعني أنك مطلوب ومطلوب، وجاء الجرسون، فسألني بتردد ماذا أريد أن تكون وجبة الغداء،  
 قلت له:  
 - أريد السكين التي تقطّعون بها اللحم.

وتهض الشرطي عن كرسيةه، وطلب مني أن أحمل الطبق وأسير معه، فادخلني في سراديب متعرجة طويلة، لم أرها من قبل، ثم أتيتني بي داخل غرفة مستطيلة وعتمة، وأغلق الباب خلفه ومضى.

ـ رُنْ في أذنِ صوت له رهبة وصدى قاتلاً:

ـ أذكر عندما أوصيتك بالأكل من جميع الأشجار؟

ـ لا أذكر.

ـ وقتلت لك بالحرف الواحد: أَنَا شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها.

ـ لا أذكر شيئاً من هذا.

ـ منعتك وخالفت، ها. ملعون أنت وأباك وأحفادك وكل سلالتك.

ـ لم أفعل شيئاً مما تقول.

ـ من الذي قطف الفاكهة الحمراء وأعطها للعنالة ومساحي الأحذية والشخاذين؟

ـ أنا.

ـ ألم أمرعنك من قطف ثمار هذه الشجرة من قبل؟

ـ لا أذكر، بل لا أذكر أني سمعت هذا الصوت من قبل.

ـ أنا أحدث معك الآن بواسطة مكّر صوت.

ـ لا أفهم شيئاً مما يجري.

ـ نفهم فقط بمحارسة السطوة بمهارة. ها. ملعون أنت وأباك وأحفادك وكل سلالتك.

ـ ما هذه التهليلة الدينية؟

كان الشرطي مهتماً بتكلمة مقطوع من أغنية ساقطة، قبل أن ينظر في بطاقة كل منا. وظل يهز بالكرسي مع الإيقاع، حتى انتهى المقطوع، وفجأه بطاقه الرجل الأسر، ثم أعادها إليه، وامتنع عن النظر في بطاقة قاتلاً:

ـ ألسْت أنت صاحب هذا الرأس؟

ـ ولم ينتظِ إجابتي حتى قال بالإنكليزية:

YOU ARE WANTED

ـ وتناءب وقال للرجل الأسر:

ـ اذهب أنت إلى المحاسب لتأخذ المكافأة.

فاجابه:

ـ لا أريد مكافأة، وإنما جتنا كي نسلم رأسه بناء على رغبته.

ـ وهل تظن أن الدنيا فوضى؟ لقد دخلت قيمة المكافأة في المصروفات والنفقات، ولا بد لك أن تستلمها.

تململ رأسي على الطبق وصالح:

ـ يحق له أن يكتب تنازلًا عنها، لعمود وتدخل مع الموجودات.

ـ نظر الشرطي إلى رأسي باستغراب وقال:

ـ ما هذه الرذالة؟

ـ واستعرضنا قاتلاً:

ـ لا بد من استلام المكافأة.

وقبل أن يتفوه الرجل الأسر بأية كلمة، كانت يداه مربوطتين بسلسلة من الحديد، وشرطى صغير السن يدفعه للذهاب معه نحو دهليز خلفي في المخفر.

- ساحرتك من هذه الراحة، وأكثني بالإعلان عنك مجدداً في الصحف والإذاعة والتلفزيون، لأنجز كافة المواطنين، أُنك ازتكت الخطبة الأصلية، وتعلمت مضاجعة النساء، وستظل لعناتي تطاردك إلى أبد الآدبين.

وما كاد الصمت ينخر في أعمق عتمة الغرفة، حتى وجدت نفسي أقول بحدة:

- أباذا الذي يجلس في العتمة، لا أريد أن أدفع في الحياة ولا أريد أن يظل رجالك يتذرون ميكروفونات مسجلاتهم تتذليل من توافد غرفتي.

وأقول:

- أباذا، هل تثير صراحتي غضبك؟ وهل يغضبك حتى للفاكهة الحمراء والأجadas التي تنشش العناكب في حنابها؟ وهل تغضب من رجل خبزه كناف يومه، برياح لابتسامة أمّه، ويعتم بالورود المتناثلة؟

وأضيف:

- أباذا، إنّ نفسي حرّينة حتى الموت.

- تمثيلية؟ أظلنّ أنتي مهرّج تمثيليات أيها العكروت؟ أتسى أنتي أنا الذي أنجيك وصنعتك؟

- أقبل كلّ شيء ما عدا الشكك باخلاق أمي.

- لقد نفخت في أنفك نسمة حياة، فصررت نفساً حية، ومع ذلك تعاند وتكلّب وتصرّ على أُنك لا تذكر شيئاً من هذا.

- أعتقد أُنك تقصد شخصاً آخر غيري.

- ضع رأسك بين كتفيك لأنّك من شخصيتك.

- ولكن الغرفة مظلمة، ولن ترى شيئاً.

- أرى ما يُرى وما لا يُرى.

- ما هذا الكلام؟

- ضع رأسك بين كتفيك.

رفعت رأسي عن الطبق، ووضعته في مكانه، ولذلت بالصمت، حتى عاد الصوت فقال:

- أنت الذي أعلنت عنه في الصحف المحلية، وأنت الذي سطا على شجرة معرفة الخير والشرّ.

- وماذا أيضاً؟

- سبق وأمرتك بأن لا تأكل من ثمار هذه الشجرة، لأنّك يوم تأكل منها موتاً تموت!

- وهل سأموت الآن ميتة نهائية؟

- ماذا تعني؟

- أعني أنتي مدفون في الحياة، فليات دفني في الموت الأبدي على يديك.

ن لش ائمه ، فما يليها شهد أن لا يجيء كلامه قبل موته ، رأى معاذًا لجنب  
باب قبره ، حيث أتى المتسال إليه إن « من يحيي الموتى » ، لم يتحقق ذلك ، ثم أتى معاذًا  
للقبر ، وروى له سيدة بنتها « حديثه » ، المسند إلى « حديثه » ، المسند إلى  
موته ، ثم أتى معاذًا لجناح القبور ، ورثى ، ثم أتى المصلى ، ورثى ، ثم أتى المسجد  
العامري ، ورثى ، ثم أتى المسجد الأعظم ، ورثى ، ثم أتى المسجد النبوي ، ورثى ، ثم أتى  
المسجد الحرام ، ورثى ، ثم أتى المسجد الأقصى ، ورثى ، ثم أتى المسجد الأقصى ، ورثى ،  
ـ ١ -

فتح الباب فجأة ، ففصر ضوء الشعس الحجرة التراوية المظلمة ، الخالية  
من أية فتحة أخرى ، فما كان من القرد الثالث إلا أن تقاذفوا في صخب ،  
على أمل حدوث بداية لنهاية العذاب ، الذي عاشه طوال الليلة الفائنة .  
حاول القرد الأول ، الذي كان « شرشر » القردان قد أطلق عليه اسم  
« زقزوق » ، أن يبدو لطيفاً ، فرقع يده في شيء يشبه التحبة « لشرشو » الذي  
ولج من الباب ، لكن الأخير لم يبد أدنى استجابة لذلك ، ربما بسبب تعاليه  
ونظرته الفوقة للقرود ، وربما يسبب سرعة انهماكه مع زوجته ، التي دخلت  
بعده ، في تقييد الماعزنة التي جاءها بها معهما ، والتي لم يجد القرد الثالثة  
سبباً مفهوماً لوجودها حتى الآن ، على أية حال ، لما لم يجد « زقزوق »  
استجابة معقولة من الرجل الواقع أمامه ، ابتلع الإهانة ، وارتكان بيده على  
أرضية المجرة كما لو كان يتنتظر شيئاً .

« مرذوق » هو القرد الثاني ، وكان يشبه زميله « زقزوق » إلى حد كبير ،  
ماعدا أن جسده كان أقل فتوة وشباباً ، وتقاطيع وجهه كبيرة بعض الشيء ،  
وبيدو أنه كان من ذلك النوع المسمى هادئاً الطياع ، لأنه اكتفى بالنظر إلى  
ما يفعله « شرشر » بمالعنة بعد أن خلع موطنه العسكري الذي لم يعرف  
« مرذوق » بالطبع أن شرشر قد اشتراه من وكالة البليح ، وبقي « مرذوق »

ساكناً لاينطق أو يقام بآية حركة يمكن أن تلفت النظر إليه ، فبدا وكأن الأمر لا يعنيه على الإطلاق.

أما القرد الثالث ، فقد أسماء «شرشر» لسبب غير مفهوم «معتق» ربما تمشياً مع الأداء الصوتي لإسمه رقيقة ، وربما بسبب شعور مبهم انتبه ، وجد معه أن هذا الاسم هو الأكثر انطباقاً عليه ، وقد ظل هذا القرد ، الذي تبدو في نظراته جدية واعتداد شديد بالنفس ، قابعاً في مطرارجيه يشعر بضيق شديد وقرف لاحد له ، بسبب وجوده في هذا المكان الضيق المظلم الذي اضطر المبيت فيه طوال الليلة الماضية ، بعد أن أحضروه من الجبلية الكبيرة ، بحقيقة الحيوان ، فأصبح محروماً من مشهد السماء الواسعة ، معنوأً من الانطلاق في مكان قسيع ، والحقيقة أن «معتق» كان شخصية معدنة بعض الشيء ، فهو لا يأخذ أي موضوع ببساطة أبداً مثلاً يفعل رفيقاً ، كما أنه يميل إلى التقلسف كثيراً ، فعلى سبيل المثال ظل طوال الطريق ، منذ أن ابتعاهم «شرشر» من حقيقة الحيوان ، حتى جلبهم إلى هذه الحجرة الضيقة ، يتحدث عن الاحتمالات الممكنة للأسباب التي تقف وراء تحول الحديقة عنهم لذلك المدعا «شرشر» فقال إن «مرندق» قرد عجوز ، تخلصوا منه لأنه كان داتب الشجار مع ذكور الجبلية الآخرين ، أما «رززوق» فهو مازال شاباً صغير السن ، وربما دفع «شرشر» فيه ميلغاً اغراهم بالتخلي عنه ، أما هو .. «معتق» فلا يدخله شك في أنهن ابعذوه عن الحديقة لأن حرض قرود الجبلية على الاضرار عنتناول البرسيم طوال أيام أسبوع ، حتى يجبروا إدارة الحديقة على استبداله في بعض الأيام بأصناف أخرى من الفواكه والخضار التي رأى بنفسه كثيراً من موظفي الحديقة يحملونها معلم أثناء خروجهم بعد انتهاء عملهم ، حتى أنه كانوا يغبنون بعض الأطعمة التي كان كثيراً من الزوار يعطونها لهم ليطعموها لقرود الجبلية ، وهذه كلها كافية لجعل القرود تعيش بمستوى لائق عن المستوى الذي اعتادت عليه في القافية .

وأو تخيينا الانصاف للقنا إن «معتق» لم يكن مقدماً نفسياً لكنه كان فقط قد أخبر الحياة أكثر من زميليه فهو الوحيد بينهم الذي لم يولد في الجبلية بل ولد في القبة الفسيحة الممتدة ، التي تلامس المحيط باطرافها ، والتي تتبع لأى قرد ، حتى لو كان حدثاً صغيراً اعتلاء أطول شجرة جوز هند يطالع بها هنان السماء ، ويشع بصره بتجليات الطبيعة الفاتحة حيث تصبض المياه بالازرق اللازوري ، الذي لم تتنبه بعد نظريات المذنبة الحديثة ، وتتصدم الطيور فيها بتغيرات على أكثر من لحن واحد ، وتترنف روحه من الأخضر المتوج ملائكاً مطلقاً لكل الألوان ، وينشق منها ألف أخضر وأخضر يطمئن النفس ، ويملئ الروح .

هكذا .. وحتى بعدأن استقر «معتق» في الجبلية ، بعد أن جلبوه إليها مع أم ، لم ينس أبداً تلك الحياة الجميلة الواسعة ، التي سلبت منه الحياة الخلية يأتي قرد سوي قادر على الفوز والربح والحصول على طعامه ببيمه القويتين وعمارة الحياة التي يرغبا وبختارها .

لكن «شرشر» لم يفكر لحظة في تحليل شخصية أى من القرود الثلاث ، فهو قرداً تقييم لايهمه من أمر القرود إلا النجاح في تكريها بأسرع وقت ممكن ، وفقاً للطريقة التي ورثها أباً عن جد ، والتي توارثها جدوده عن آبائهم وجدهم أيضاً فتسيدوا على القرد ، وتحكوا في مقدراتها ، لذلك لم يقتصر على بال «شرشر» أبداً أن يتأمل في أحوال القرود ، ولم ينشغل بمعاناتها كما أنه لم يتسائل يوماً عن أحلامها وأمنياتها في الحياة لأنه كان منشغلًا بضرورة اتقانها لعجين اللراحة ، ونوم العازب ، ومشية الأمير ، ووقفة الخفير ، حتى يتمنى له بيعها بش忿 جيد لقرداتي آخر ، أو ليس مع واحد منها هو شخصياً غيرتزق به في الشوارع والأسواق .

خرجت أمراة «شرشر» ثم عادت إلى الحجرة مسرعة ، حاملة بيدها عصا طويلة غليظة ، ولما كان «رززوق» كما قلنا ، مازال غرّاً لا يكفي عن

الزهو بنفسه فقد تحرك قليلاً في محاربة منه للقفز على المعايا واعتلالها مسترضاً رفاته وبهاراته كفرد في عزه وشبابه ، لكن السلسلة التي تقوده حالات بيته وبين ذلك، إلا أنه لم يشعر بالإحباط لذلك لأن «شرشر» صرخ فيأة مكثراً عن انتباه ، ونداً بضرب الماعزة شرياً بوجعه وقال لها :

ـ يا الله .. أعمل نرم العازب .. بسرعة .

وبدلًا من أن تهاكي الماعزة نرم العازب ثلات تمايسٍ وتصريخ بصوت حاد ليد أن يصدر عن ماعزة تعذب على هذا النحو دون سبب مقبول ، ثم أنها راحت تحاول التخلص من قيد أقمامها ، ولما لم تجد فكاكاً زادت من هرائها وأحتاجها .

تبادل القروه الثالثة القابعين في زاوية الحجرة نظرات استههام؛ حاول «معتقق» تفهم ما يدور أمامه فكل معلوماته المتربعة في خبايا ذاكره عن جنس الماعز من زمن القافية هي أنها كانتات وديمة ، سريعة العبو ، تأكل الأعشاب والألياف ، وتقدم أجسادها دون صراع كبير لفترة سائنة للأمسود والغور وبقية حشواري الفالية اللاحقة ، ولما لم يجد تفسيراً مقنعاً المهرلة التي تكون أمامه ، أثر الصمت مركزاً نهض في محارة جديدة الفهم .

الغريب أن «شرشر» يدلّا من أن يكفر عن ضرب الماعزة ، التي بدت وكأنها على وشك التفوق ، بعد أن تضمر صوتها ، وخرج لسانها ، الأحمر الطويل من بين فكينها ، وخرج الزيد من فمها ، وزاغت نظراتها ، زاد من دنيرة عصاء ، وصاح يعصف :

ـ عجين الفلاحة ولا شربت من دك يابنت التيس .

لم تفهم الماعزة الإهانة فهي بنت تيس فعلًا ، لكنها فهمت أن هذا الكائن الشرير الذي يضربيها بلا سبب سرف يجهز عليها فعلًا ، فراح تتفرق متسللة على يرحمها وركل عن الغريب بلا جدوى ، لكنه بعد قليل ، وبدون مقدمات توقف عن الضرب ثم ارتدى معطفه العسكري فرق جلابيه وأحكم

ووضع ربطه على القنية ، وسرعان ماسحب الماعزة خارجاً وأعاد قفل باب الحجرة على القروه الثالثة .

ـ ٢

عندما أقبل اليوم التالي لتلك الأحداث المؤسفة كان القروه الثالثة قد أعياد التفكير في سلوك «شرشر» العنيف مع هذه الماعزة البائسة. اقترب «رزقوق» الذي لم يكن يعرف شيئاً عن الماعز ، أن الماعزة لابد أن تكون قد خلقت أصبعاً من الموز من يد «شرشر» بعد أن قشره ورم بالتهامه ، أما «مزروع» الذي كان جائعاً جداً وقتها لأنه لم يأكل مايكفيه منذ مجده لصجرة «شرشر» الكثينة فقد وافق على فكرة «رزقوق» مع تعديل بسيط فيها فاستبدل أصبع الموز بعفنة من الفول السوداني ، لكن «معتقق» ظل متضايقاً جداً من ضحالة أفكار رفيقه ، وتنهى مستوى النقاش ، لذلك سارع بنسف نظرية الموز والفول السوداني من أساسها لأن الماعزة ليس من عادتها أكل مثل هذه الأشياء .

عموماً ، لم يترك لهم «شرشر» مساحة كافية من الوقت لمزيد من التخييم في سلالة الماعزة ، فقد اقتسم الحجرة فجأة بمعلقه إيهاد وربطه العنق ، التي كان يتذليل طرقها الطويل على صدر جلابيه ، وهي الرابطة التي ظن القروه منذ أن رأوها للمرة الأولى أنها لابد القيد الذي يقيده به «شرشر» أنساساً آخرين أقوى منه وأكثر شرأ ، وبينما هو أخذ في خلع معلقه وتعليقه على المسماك الوحيد في الحجرة الذي كان يثبت لوحة كرتونية لأمرأة شقراء باسمة تحتبس الكوكاكولاً مثلاً قفل في اليوم المنصرم ، دخلت أمرأة بـ الماعزة ، وبدأت مشاهد اليوم السابق تتكرر مع بعض التعديلات البسيطة ، فبعد أن قال «شرشر» سحننته وشمر عن ساعديه بدأ في ضرب الماعزة لكن الجديد الذي أضافه هو أنه بينما كان يصرخ قائلًا : نرم العازب ، انقلب على ظهره وتمدد على الأرض رافعاً ساقه ، التي تشبه

دفع زميله عنه ، أما الماعزه فقد جاءت هذه المرة منها ، رائحة النثرات ، تماهى ، باس ، حتى قبل أن تتدلى إليها عصا معدبها ، ولما بدأت مهلة التعذيب حيث هرت العصا على كل موضع معنون من الجسد الهزيل ، وبمات المسالة واضحة وضوح الشمس لكل عين ترى وكل أذن تسمع أن الماعزه لن تعجن عجين الفلاحة بایه حال ، وإن تمام نيم العازب منها كان الأمر ، حدثت المفاجأة المذهلة ، التي أجمت الجميع ، فقد أخرج «شرشر» على حين غرة من الجيب السياں لجلبابه سكيناً حادة انقض بها على رقبة الماعزه ونديحها بينما أخذ يتوال الشهادتين .

٥ -

لم يغمض جفن للقرود الثلاثة طوال ليل ذلك اليوم ، فقد ظلت أعصابهم مشحونة منذ أن ترك «شرشر» المجرة وأغلق بابها عليهم بعد أن حمل الماعزه المغدورة ويقيت رائحة الدم الذي لم يجف تماماً تعلماً أنوفهم ، ويتشرر الرابع في أوصالهم ، بانت خطورة الموقف بعد أن طرح «معتق» على رفيقه سؤالاً كان أشهى بالقنة ، التي انفجرت فجأة :

ـ ماذا لو جاء «شرشر» غداً طالباً منا أن نقوم بما كان يتطلبه من الماعزه .

ـ حاول «مرزوق» الاعتراض على السؤال من أصله ، وقال إنه من المستحيل أن يطالبهم بذلك لأنهم لم يفعلوا شيئاً يخصبه أو ينفيه ، وعلاقته بالماعزه لا بد أن يكون بها شيء من ذلك دفعه لقتلها .

ـ ابتسם «معتق» ساخراً لأنه كان قد شاهد في الغابة منذ زمن بعيد ما يكتفى ليرد به على كلام «مرزوق». فالفرسسة لاستئناف المفترس الذي يفترسها لكنه أثر، بدلاً من مناقشة «مرزوق» التافهة أن يأخذ رأي «مرزوق» حتى يتوصل ثلاثة لنتيجه في هذه المسألة الخطيرة .

ـ تتحجج «مرزوق» ، وحاول أن يكون هادئاً وهو يقول :

ـ ساق الماعزه إلى حد كبير، ماعدا أنها كانت مقططة يشعر أسود خشن أقل كثافة بكثير من شعر الماعزه ثم وضع هذه المشعرة على الأخرى التي لاتقل شعراً بينما استند برأسه الى ذراعيه المعقدين خلفها مكرراً ثداماته الماعزه بان تقم منه يعلم نيم العازب وإلا أذاقها عذاباً لم يذقه جن أو بشر .

ـ عند عجين الفلاحة هي واقفاً ، وراح يحاكي حركات فلاحة ترفع العجين وتحمطه الى أعلى ليتشرب أكبر كمية ممكنة من الهراء ويتناقض وورغم أن الماعزه كثيراً ما شاهدت الفلاحات في القرية يقين بهذه العملية الشاقة بعض الشيء ، مرات ومرات ، إلا أن المسكنية لم تتصور نفسها تقوم بذلك في يوم من الأيام ، لذا صعد «شرشر» من ضربه الوحشي لها ثائعاً إيماناً باقتناع الشتائم ، التي تتجلى فيها إيداعات عالمه السفلاني ، ثم أنه لم يكن عنها الآذى ، إلا وهي على شفا الموت ، فسبحها إلى الخارج مرة أخرى ، وأغلق الباب وراءه بعنف .

٦ -

ـ ملخص ماتلا ذلك هو أنه كاد يجن جنون القرود الثلاثة من تصرفات «شرشر» الشنيعة ، والتي لا يرجد ما يفسرها على الإطلاق . حاول «مرزوق» المسحوب من لسانه ، يوماً ، أن يقول شيئاً ، لكن «معتق» أسكنه بنظرة معناتها القفل : إخرس ، فكان أن يكتم أنفاسه مع صوته عندئذ ، أكثف «مرزوق» بيان يقول :

ـ يظهر أن الموضوع خطير يا جماعة .

٧ -

ـ في اليوم الثالث ، جاء «شرشر» وفتح الباب بسرعة ، وقد بدا نافذ الصبر ، ارتجفت قلوب القرود الثلاثة ، رعباً ، حتى أن «مرزوق» المتألم بسبب نوس «مرزوق» المرتكب على ذيله أثر السكوت كائناً أنه ولم يحاول

له العيال ، الذين يحملون ذكرة في الدنيا ، أما «مرنيق» فقال إنه بمجرد رسوله إلى الجبلاية سالماً سيمحمد الله على سلامته ويوس لرضاها يوسف يعيش بعد ذلك جنب الماء ، فلا مشاجنات ولا معارك مع أي قرد آخر ، منها كان الأمر ، حتى لو حكمت عليه الطروف أن يأكل لفنته بدقة . كان «معنوق» هو الوحيد الذي لم يأكل لنفسه شيئاً وكانت تعتريه رغبة شديدة في البصق مرة أخرى .

- ٦ -  
في اليوم الأخير جاء «شرشر» وزوجته لكن بدون ماعزه طبعاً .. بدأ طقوسه بخلع الملعف والتكتير عن الأنابيب ، ثم أنه حمل العصا بيد رعد اليد الأخرى ساحجاً «مرنيق» من السلسلة إلى وسط الحجرة وهتف بصوت منه الأمل في النجاح :  
- يا الله .. نوم العازب ..

بدأ «مرنيق» مرتبكاً ، ربما لأنها المرة الأولى ، التي يجب فيها على آداء دور لا يعرفه جيداً ، وأفرط ارتباكه قام بآداء عجين الفلاحة بدلاً من نوم العازب ، مما استدعى أن يت跋ل ضربتين قويتين على مؤخرته ، التي أزدهرت بالاحمرار أكثر مما كانت عليه من قبل .

تدخلت الزوجة التي كانت واقفة تراقب الفرد الفتى ، وقالت لزوجها :  
- بالراحة عليه ياشرشر ، علمه أنت الوضع الأول .

انقلب «شرشر» على ظهره متختداً وضيق نوم العازب مثلاً يفعل دواماً فساري «مرنيق» بمحاكاته بذلة ورشاقة دللت الزوجة لأن تفاصي بسرور ، فلبنيط شرشر لانتساطها ، وقال :

- جعد .. طيب عجين الفلاحة .  
قامت الزوجة بالانحناء قليلاً ، وأخذت تصور عملية العجن في ذلال ومية ، مما جعل «مرنيق» يتعالك نفسه بمعنوية وبيذل جهدًا نفسياً جباراً

- المقلية أتنى لاظنه سيطلب هنا ذلك فحسن لستنا ماعزاً على أيام حال ، وأغلب الناس أنه سيعيننا إلى الجبلاية خداً على الأكتر ، ولكن حتى إذا طلب هنا ذلك فما المشكلة ؟ إنها مسألة بسيطة للغاية أن نقوم بتنفيذ حركاته فهو لاتحتاج إلى كثير من الجهد والعناء ، ومن ناحية أخرى أنا أرى أن نذكر جيداً أن نخالله ، أو نعمس اوامره ، فهو كان من متور لمن يتوجه عن ذبحنا مثلاً ذبح ماعزته ، قاطعة «معنوق» قائلًا :

- لكنت قلت أتنا لستنا من الماعز من ذل قليل !  
هرش «مرنيق» وأساسه الصغيره وتلاحت نظراته في ارتباك ثم استكمل كلامه قائلًا :

- صحيح لكنك رأيت بنفسك السكين ، كما أن لديه سلاسل يقيتنا بها كما ترى الآن والله وحده يعلم ماذا يمتلك أيضاً من وسائل وأساليب لانتقى على مواجهتها .

تساءل «معنوق» مستكراً :  
- رأفينا المادة ١٩ واستأننا ١٩ وانيابنا المستينة ياحببي ؟ أليست موجودة لدينا ١٩ .

لم يرد «مرنيق» وأثر الصمت ، فمعنوق برأيه متطرف الرأى ، متور السلوك ، ولا يتعلم من دروس الماضي أبداً ، فهو لم يستحبب جيداً دروس طرده من الجبلاية ، وبحسبه هي قذف منفرد ، بعد أن حرض القروه على الانضراب عنأكل البرسيم ، لذلك فهو ، أي «مرنيق» لن يأخذ برأيه أبداً ، لأن يعلم بمثوريه لأن «شرشر» الشير ي يمكن أن يقتله وعندما لن يفديه كلام «معنوق» ويأويه ملبيلاً روح .

بسق «معنوق» على الأرض بعد أن أشباح زميله بوجهيهما عن وراثها يتناقضان فيما سوف يفعلنه بعد عودتهما إلى الجبلاية مرة أخرى ، فقال «مرنيق» إنه سوف يتزوج هررأ ويشكل لنفسه طاقماً من العريم الفاضن يظاف

- طيب ياوسيخ .. عجين الملاحة .

ثُبٌتْ « شرشر » عينيه في عيني القرد ، اللتين بدتا ثابتتين وهادئتين تماماً ثم قال :

- إسمع .. أتعذر أحسن لك ، وإياك تطلع روحي ، يا الله ياحلو ، عجين الملاحة ، عشان تأخذ موزة .

لكن « معتفق » الذي لم يكن حلواً يابي معيار من المعايير، جلس القرفصاء مظهراً عورته وراح يبعث بأساصيعبه في قدمه .

تجمعت غيوم المفسب في وجه « شرشر » مفترضة بتقويم العاصفة وارتفع حاجبيه بالدهشة والاستكثار وتتمدد شفتيه السقلي الرقيقة معلنة عن عنف وشيك ، ثم أنه رفع عصمهما عالياً محولاً تسميد ضربة المؤخرة « معتفق » .

كان غضب أشد قد تجمع في صدر « معتفق » ، ليس في هذه الحالات فقط ، ولكن منذ لحظة قتل الماعزرة وقدر دمها في الأرض ، لذلك وبهدوء ، رفع يديه ناشباً أظافره وأستاناه في جسد « شرشر » الذي أجمته المفاجأة ، فأخذ يقاوم ويبعد عنه ، بينما « معتفق » يازمه أرماً بكل غضبه المكتوب ، وحلمه الدفين في العودة إلى عالمه القسيع المترامي ، حيث المحيط الأزرق والقابة الممتدة الخضراء وعالم المنيور السحري .

ويقال إنه في اليوم التالي لتلك الحادثة الفريبية كان « شرشر » في المستشفى و« زقزق » في السيريك و« مرنوق » يجوب الطرقات يتسلول طعامه مع قرواته آخر ، أما « معتفق » فقد أعادهه مرة أخرى إلى الجبالية لأنه غير قابل للترويض ، ويقال أيضاً إنه كان يمضى وقته مجاهداً هسغار القرد ، عن روعة وجمال الغابة ، التي لم يروها أبداً لأنهم ولدوا في عالم على بالصخور .

هي لا يمليها بدلاً من تقليد حركات يديها ورأسها وهي منحنية ، لكنه بدأ عاقلاً متزناً لأول مرة في حياته حيث ثبت نفسه على وضع العجين ، الذي أداء بظرف حتى أمره « شرشر » بالرجوع مرة أخرى إلى وضعه الطبيعي ، فقالت المرأة بسعادة بالغة :

- والنبي لذيد ونحوه حقيق ، اعرضه على السيريك ياشرشر ، لأنهم ممكناً يشتورو منه بسعر معقول جداً .

أخرجت الزوجة من صدر جلبابها اصبعاً من الموز قذفت بقطعة منه لزقزق فلتلقه غير مصدق ، لأنه لم يدق الموز منذ أن جيء به لهذا المكان ، وبات واضحأً بعد ذلك أن الدور اقترب من القردين الآخرين لأن « شرشر » أعاد « زقزق » وربطه في مكانه الأول ، بينما أخذت عيناه تتفحصان كلّاً منها ، لكنه وليس بسبب ما سحب « مرنوق » أولاً :

كرد « مرنوق » حركات زميله السابق لكن دون خفة ومهارة واضحة ، ربما لكبر سنه أو قلة حيلته ، لذلك علقت الزوجة بفتور على أدائه قائلاً :

- خليه ياشرشر ، تسرح به ، أو تبيعه لآى واحد من العيال المسروحة .

ويبدو أن « شرشر » كان قد قرر ذلك قبلها لأنه هن رأسه ولم يقل شيئاً .

ثم جاء دور « معتفق » . سحب « شرشر » معتفق إلى وسط المجرة فسار القرد في تباطق دون انتصاع واضح . ذذ « شرشر » عينيه الضيقتين في ضيق وصالح بعنف .

- نوم العازب .

حرك « معتفق » ساكناً صغيراً ، أربأته أنه ، التي اتسعت لتدخل مزيداً من الهواء إلى صدره . أعاد القردانى نداءه متزناً مرة أخرى :

- نوم العازب بسرعة .

« معتفق » لم يرد أيضاً .

اختلط « شرشر » فكح وهرش رأسه وغير النداء .

لهم بالون ميلاده دعوت لبلوغه ، فلما بلغه ألمعه في كل الأحوال ، يحيى  
ليلة بيشاميل ، غيره ليل ، يستشهد بالله تعالى ليلة ، ثم ألمعه في كل الأحوال ، يحيى  
ليلة لفوار ، ثم يحيى كل الأحوال ، يحيى ، يحيى ، يحيى ، يحيى ، يحيى ، يحيى ،  
وهو يحيى استثناء ووداه موسمين ، ولم يحيى أبداً شوال كما صاحتها ، فلما  
بلغه هذه الليلة ، بعد عاشرين ، لم يحيى ، في هذه موسمين ، فلما مات ، يحيى ،  
لهذه ليلة سلطة سلطة ، يحيى ،  
يحيى ، يحيى ، يحيى ، يحيى ، يحيى ، يحيى ، يحيى ، يحيى ، يحيى ، يحيى ، يحيى ،

تفقدت الخطة بإحكام كما رسموا لها تماماً . ركب الأول صاحب الندية  
الفايرة في رقبته القصيرة من محطة اقلاع الحافلة بموقف السيارات  
العمومي ، وبعد أن اجتازت منطقة الحى التجارى المركزى بسرعة سلحفاة ،  
بسبب زحام السيارات والناس ومصارين السوق المتذلقة بضائعة وسلعاً على  
أرصفة الشوارع والطريق ، نظر الثاني إلى داخل الحافلة بمجرد أن هدأت  
من سرعتها عند أولى محطات الحى القديم الذى استطالت ببنائه فى سباق  
ماراثونى عبر السماء ، واختفت حدائقه الجميلة التى طالما نعست فى الهدوء  
حتى زمن قريب ، أما الثالث تو النظارات القلقة والحركة السريعة المبالغة ،  
التي يساعده عليها جسده التحيل المشدود ، فقد تشبت بعمود باب الأتوبيس  
الخلفى لما بدأ التحرك من محطة الحقيقة العامة الفاصلة بين ذلك الحى ،  
وما يليه من أحياه أعلنت عن هويتها إضاءات الطريق المنضائلة أحياناً ،  
والمنعدمة أكثر الأحيان ، والأرصفة المتكسرة ، ومطباطن نهر الشارع  
المتكررة ، التي تستجيب لها أجسام الركاب بالتدافع صعوداً وهبوطاً ،  
ويميناً ويساراً ، كلما مررت العاشرة فوقها ، أو حاول سائقها تقديرها ، وما  
أن استقر الثالث بداخلاها ، وتتأكد من وجود زميليه : الأول ، الذى صرار فى  
المقدمة ، واقفاً خلف السائق ، والثانى القابع فى آخر كرسي بالمؤخرة ،  
حتى رفع يده معطياً شارة البدء ، ثم دفع بجيشه الركاب الواقعين ، وسار

حتى بداية الحافلة ، عندئذ أخرج الأول والثاني مطواتين من النوع الشهير بقبن الفؤال ، شاهيرينها في قفا المسائق والمحصل . أما هو .. الثالث ، فقد أخرج بحركة سريعة ، مدروسة ، محسنة ، وسدده إلى الجالسين والواقفين قائلاً :

- لكم أيديكم لفوق ... ممتعة أى واحد يتحرك .

بين النهول وعدم التصدق ، تردد الراكيون المطبات قبل أن يرتفعوا أيديهم لأعلى ، العركة نفسها قام بها المحصل رغم السيجارة البليونت المشتعلة بين مساميه وأبهامه ، والتي كان يائعاً نقلتين البلي ، صديقه قد أعطاها له ، قبل أن ينادي على بضاعته وينط من الحافلة . المسائق كان الشخص الوحيد الذي لم تتحرك يده لأعلى ، بل واصلت الإمساك بعجلة القيادة ، بناء على تعليمات الزعيم حامل المسدس ، غير أنه بما من سرعة السيارة كثيراً بناء على هذه التعليمات أيضاً ، لكن ذلك لم يمنعه من التفكير مفهماً ، في أن عملية السطوة التي بدأت منذ قليل ، ستعطله ولابد من العودة سريعاً إلى بيته ، ورمي جسمه كزكيبة مل على السرير ، ليتم كما يشتهي ، ويريح نفسه من وجع وتعب طيلة اليوم ، ثم أنه فكر أيضاً في أن ركاب الحافلة سوف يطلبون منه تغيير مسارها ، والتوجه إلى أقرب قسم شرطة لتحرير حضر بالواقعة بعد فرار الحرامية ، فزفر بغيظ ، ووجد سبباً جديداً ، يضفيه إلى أسبابه العديدة الأخرى ، ليعلن اليوم الأسود الذي عين فيه سائقاً بهيبة النقل العام ، التي كان عملاً لها حينئذ داخل الحافلة ، يبلغ عددهم خمسة وثلاثين شخصاً ، خطسته منهم على الأقل في نوم عميق ، بعد محظتين أو ثلاثة من تحركها ، إذ أثتهم على الأغلب ، كانوا من أولئك القاطنين في الحي الذي ينتهي عنده مسار الحافلة ، لذلك فإن هؤلاء الناثرين لم يشعروا بما دار حولهم ، وتخلفوا لبعض دقائق من مشقة رفع أيديهم ، حتى صاح فيهم حامل المسدس صيحة أخرى أفزعتهم ، ففرزوا

لها ورفعوا أيديهم بمجرد أن رأوا المسدس ، وأصبحوا كباقي الركاب ، حتى أن الولد الصغير الوحيد بين الجميع والقابع في حجر أمه ظن أن كل الناس يتشاركون في لعبة شال الحمام ، فابتسم ورفع يديه هو الآخر بحماس ، ولما طال انتظاره وبيده مرفوعتان ، ولم يسمع أنه تقول كعادتها عندما تلقي هذه اللعبة : خط الحمام ، بينما تعيد وضع يديها على حجرها ، تضيق الصغير ، وشرع في البكاء ، لكن حامل المسدس ، سدد له نظرات الجمته ، فدفن رأسه في صدر أمها ، التي كان التوتر والقلق قد بدأ يدخلانها ، ليس بسبب الجنيه والشلن المنسوبين في صدرها ، المتصورون في قطعة قماش ، فهي لاتظن أن الحرامة يمكن أن يكون من الضعف والواقة ، بحيث يمدون أيديهم إلى مخابئ ثيبيها ، لكن القلق كان يساورها خوفاً من أن يستولوا على الإبرة الموضوقة في الفقة تحت الكرسي الذي تجلس عليه ، خصوصاً أن الإبرة كانت تظل برأسها وتحركه بين الحين والحين ، لكن التسالين لم يذكروا مثيلها في الإبرة - خلال هذه اللحظات ، ولم يهتموا بكونها زغتها وتعبت في ترتيبتها ، حتى تأخذها لابتئلا العروس التي لم تسبح بعد ، وهي تركب الحافلة الآن في طريقها إليها لتبيت عندها ، وتتنبئ لها الإبرة في الصباح .

كان الحرامية منهكين الآن في لم ظلوس الركاب بسرعة ، لذلك فقد تقدم الذى في المؤخرة ، وراح يطالب راكباً راكباً بإخراج مامعه من نقود وخلع ساعته ، إن كان يحمل ساعة في يده ، وكذلك آية حلى ذهبية كالخواتم والأقراط ، مما جعل الفلاح الوحيد فى الأتوبيس ، وحيد وقته بالفعل ، لأنه اضافة إلى التسعة عشر جنيهها والثلاثين قرشاً ، التي كان يحملها في جيبيه ، كان يضع فى قمه لبوس ذهب لضرس من اضراس فكه الأيمن ، مما حداه للنقل فيه جيداً ، وأخرج كامل ماقفي جيبي بهدوء دون أن تنفرج شفتيه عن أدنى همسة سخط ، على عكس العسكري المجند الصغير الجالس إلى

وهدده بقطعهما إن عاود ذلك مرة أخرى ، فلما أعن جامع الفلوس انتها  
العملية ، بعد أخذ هذه أربعة جنيهات وستين قرشا من ذلك الشاب ، قال حامل

المسدس متسائلاً :

- والمحصل؟

رد جامع الفلوس : - خاصتنا منه ، ولا شئ يذكر معه .

افتظ حامل المسدس ووزف بضيق ، وهو يقول : - بالله .. نأخذهم نكأة في الحكومة .

أخذ بشقية الر Kapoor وتهددهم مرة أخرى ، إن حاول أحدهم التحرر ،  
غير أن جامع النقدي قاتله قاتلاً : - مع الواية أم العيل حيوان ... هل أقصنه؟

فكرا حامل المسدس قليلاً في أمر الإزرة ، لكنه خشى أن تصيب  
لتفصدهم وتربيكم ، لذلك لم يرده على زميله ، بل أمر السائق بفتح أبواب  
الحافلة التي لم تفتح منذ إغلاقها بعد المحطة التي ركب فيها ، ثم أشار  
لزميليه أمراً : - بالله ... نظر بسرعة ،

في لمح البصر ، كانت الحافلة تبتعد ، وأرجلهم تسابق الريح إلى الفراية  
الواقعة خلف الجامع العتيق الواقع في الشارع البعيد المؤازى لذلك الشارع ،  
الذى تركوا فيه الحافلة .

جلسوا يلتقطون أنفسهم ، وأخذوا يحسون الفلوس ، ويتحققون  
المسروقات ، التي كانت حصيلتها ثلاثة خواتم زواج ، واحد فضي ، وإثنان  
تكسرت بين أسنان أبي ندية على رقبته ، مما يؤكد كونهما لا يمتان بصلة إلا  
لتصفيح المدهون ، وخمس ساعات منها اثنتان متوقفتان ، وأثنتان لم يعد

جواره ، والذى فغر قاه دهشة ، ولم يصدق أنه فى حافلة مفروض أن تنقله  
إلى أقرب موقع من وحدته العسكرية حيث نهاية الخط الذى سيفطر  
لتجاوزه متوجلاً فى الصحراء حوالى ثلاثة كيلو متراً حتى يصل إلى  
وحدته ، وبدأ مايدور أمامه ، وكان مشاهد من فيلم أمريكي عنيف ، صحيح  
أن كل ماجيئه لايزيد عن ربع الجنية ، ولباخته النشالون فى ستين ألف  
داهية ، كما قال لروحه ، لكن المراة داخلته ، وتضيق لأنها احتفظ بالزواجه  
التي أعطتها له أمه ولم يأكلها : ثلاث بيضات مسلوقات ورغيف فلاحي  
وفحل بصل ، ولفتة كبيرة ، غير أن grammar خيبوا ظنه ، فطلب ما ، لم  
يكلف جامع الفلوس نفسه ، مشقة سؤال العسكري أن يعطيه مامعه ، ربما  
صلحا بالحكمة : « ما الذى تأخذه الريح من البساط » ، وربما حرصها على وقتها  
الثنين كهراس ، وبدلا من مجرد النظر إلى العسكري الذى ليس زينة الامة  
المصرية على عكس ما تقول إحدى الأغاني ، طلب الحرامي من العجوز  
الجالس فى المقعد التالى له أن ييرز محفظاته ، وفرغ ماباها ، وقد حاول  
العجز استرحامه ، قائلًا : « وحياة سيدنا النبي خلى لي خستة جنيه لا  
أكثر ولا أقل ، لأن لونه بيتش لازمها جزمة كاريتش تروح بها بعد بكرة عيد  
الطفولة فى المدرسة » ، لكن الحرامي طالبه بإن يلبيس فمه وينكت ، وقد طلب  
الرجل الأسود النحيل الجالس فى آخر الأتوبيس طالباً يقترب من الفكرة  
ذاتها مع فارق فى المبلغ بحوالى ثلاثة جنيهات ونصف ، وإنما لم يجبه  
الحرامي ، أخذ يبرطم لاعناً غباء وسوء تقديره ، لأنه لو كان قد على  
المقهى ، ولعب طاولة وشرب شيئاً ، لضاعت المائة والخمسين قرشاً فى  
المقيد ، بدلا من أن يأخذها grammar ، لكنه عمل نفسه عاقلاً وحكينا ، وقال  
لروحه : « بدل اللعب والكلام الفارغ ... ادخل على العيال بكيش فاكهة  
يفرحوا بها » أما الشاب حامل الكتب ولايس النظارة السعيكة ، فقد طالبه  
حامل المسدس أن يكل عن حل الأرض بقدميه ، لأن ذلك يجعله يضرس ،

ماركتهما أى ذكر ، منذ ثلاثين سنة على الأقل ، أما حصيلة نقود الركاب والمتحصل فكانت ثمانية وستين جنيهاً وثلاثة وتسعين قرشاً فقط لا غير .

صرخ حامل المسدس بمرارة :

- يا ولاد الآباء .

أيده أبو ندية ، راغباً في تحطيم أي شيء ، في هذه اللحظة ، فلما لم يجد ما يناسب ذلك ، أمامه في الخراب سلت فردة حذائه من قدمه ، وخطب بها الأرض ، وهو يقول :

- حشالة .. تفو عليها بلد فيها ركاب أمثالهم .

حامل قرن الغزال ، التي سلطها على رقبة السائق طوال الوقت ، أعجبه تنظير زميله ، ويبدو أن الموقف كله بدا له ضرباً من المسخرة ، لأن صاحبته شخصت في فراغ الخراب ، وقال :

- يعني عوضنا على الله في أكلة الكباب الليلة ... وراحـت علينا السكرة .. يعني لاميـاه ولا إدام .

واستطرد وهو يتلمس ندبته ، مثماً يفعل عادة عندما يتوتر :

- اتوبيس طويل عريض مليان بالبني أدمين ، وكل ما فيه ثمانية وستين جنيهاً .. حاجة زفت ... والله يظهر أنهم كانوا مسرقين قبل ماسرقناهم .

رد التحيل ذو النظرات القلقة وهو يجاري زميله في الضحك الساخر المزبور :  
- لازم يكونوا حرامية كبار .. كبار ولعبهم على كبير جداً .. ها ها ها ...